

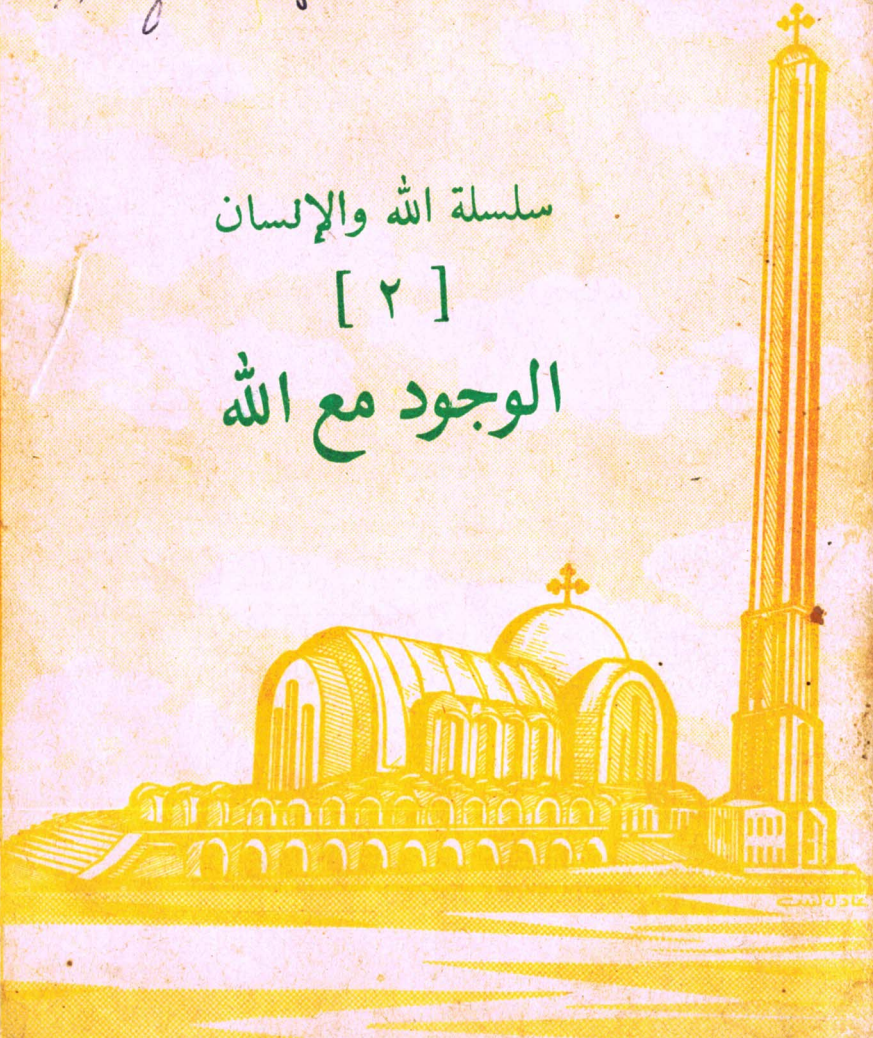
البابا شنودة الثالث

عام وحياتي
A life with

سلسلة الله والإنسان

[٢]

الوجود مع الله



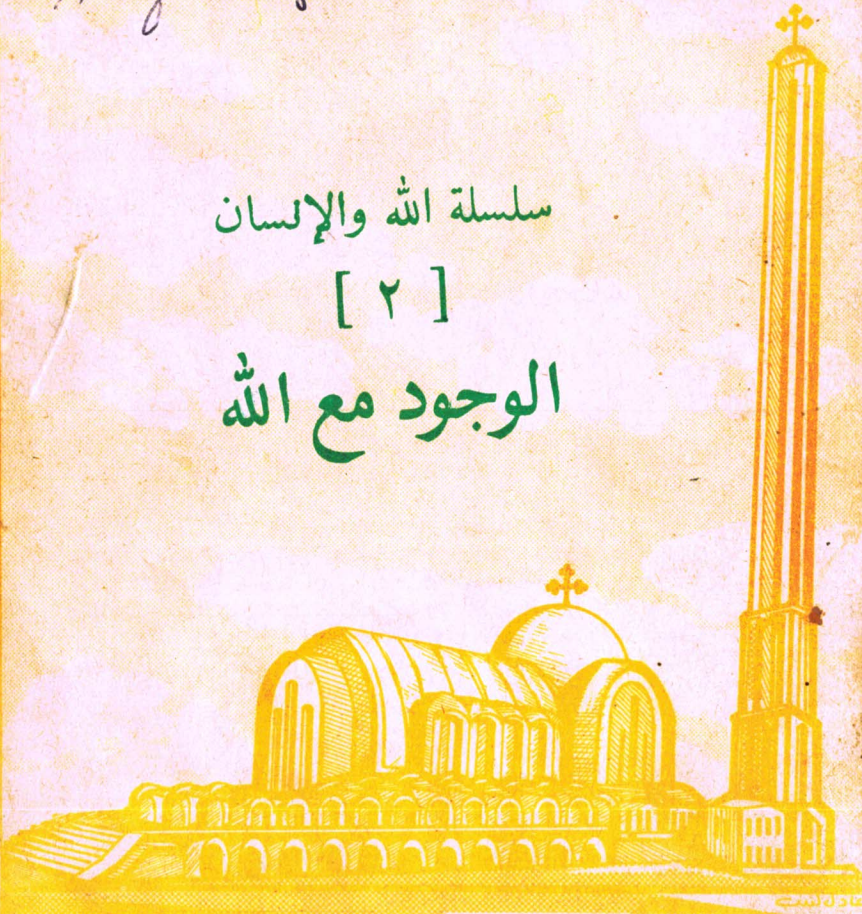
عاما وحيات
Atef Wasef

البابا شنودة الثالث

سلسلة الله والإنسان

[٢]

الوجود مع الله



في هذا الكتاب

باسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد أمين

ما هو الوجود مع الله؟

وكيف تحس أنك موجود
في الحضرة الإلهية، وأن الله
موجود معك؟

ما هي أوقات الإحساس
بالوجود مع الله؟ وكيف يصبح
هذا الإحساس حياة، وليس
لفترة؟

وما هي طبيعة العلاقة مع
الله، الذي يوجد فينا، ونحن
نوجد فيه؟

وما هي المشاعر التي تغمر
القلب وقت وجوده مع الله؟ ...

عن هذا كله، يحاول
كتابنا الذي بين يديك أن
يجيب.

شنودة الثالث

البابا شنوده الثالث

سلسلة الله والإنسان

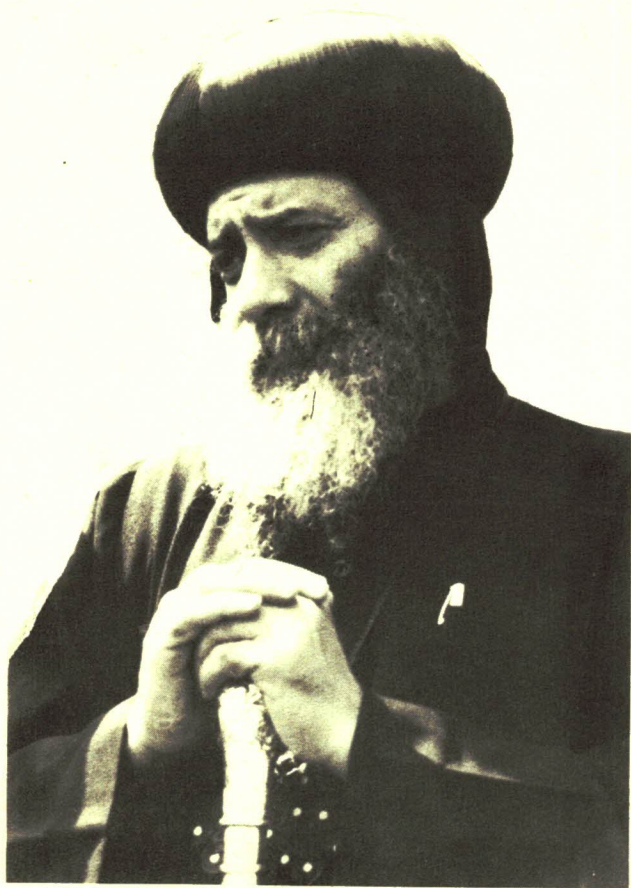
[٢]

الوجود مع الله

BEING WITH GOD
BY H.H. POPE SHENOUDA III

1st print
January 1982

الطبعة الأولى
يناير ١٩٨٢



قداسة البابا المعظم الاثنا عشرية الثالث

بابا الإسكندرية وسائر أقاليم مصر القبطية

(ال ١١٧)

باسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد - آمين

تصدير

نقدم لك أيها القارىء العزيز خمس محاضرات ألقيت في الكاتدرائية الكبرى أيام الجمعة من أول مايو ١٩٧٠ إلى ٥ يونيو ١٩٧٠ ، عن « الوجود مع الله » . وذلك في فترة الخمسين يوماً المقدسة ، والكنيسة تتذكر وجود التلاميذ في حضرة الرب ، في تلك الأيام المملوءة فرحاً .

وتطرق هذه المحاضرات إلى حقيقة الوجود مع الله والإحساس بهذا الوجود .

والأوقات التي نحس فيها أننا مع الله .

وشهوة الوجود مع الله .

والمشاعر والعلامات التي تصحب الوجود مع الله : مثل الحب ،

الفرح ، السلام ، الخشوع ، البر والقداسة ، الشجاعة وعدم الخوف ...

نقدمها لك بعد مرور أحد عشر عاماً على إلقائها ، لعلك لم تسمعها في

ذلك الحين .

شنوده الثالث

[١]

الوجود مع الله

« الذين أراهم أيضاً نفسه حياً ، براهيمين كثيرة ، بعدما تألم » ، « وهو يظهر لهم أربعين يوماً ، ويتكلمن عن الأمور المختصة بملكوت الله » .

(أع ١ : ٣)

هذه الأربعين يوماً ...

أود أن أكلمكم اليوم عن هذه الأربعين يوماً ، التي قضاهها المسيح مع تلاميذه بعد القيامة ، وعن دلالاتها ، والفوائد الروحية التي ننجنيها منها ...

أعمال كثيرة عملها الرب قبل صلبه وموته عنا ، وأعمال أخرى عملها بعد قيامته ... فقد قضى هذه الأربعين يوماً مع تلاميذه ، يمدّهم عن الأمور المختصة بالملكوت :

يضع لهم أساس الكنيسة ، ويسلمها عقائدها وطقوسها ، يسلمهم الأمور الخاصة بالرعاية ، ويثبتهم في الإيمان ...

يحوّلهم من الخوف والفرع والاضطراب والشك ، إلى اليقين والقوة ، في صلابة الإيمان . يجعلهم بعد الأربعين يوماً مستعدين أن يجابهوا العالم كله بقلب قوى . لقد أخرج من العلية هؤلاء الخائفين المحتبئين ، لكي ينشروا الإيمان في العالم كله ...

كانت أياماً لازمة لتأسيس الكنيسة . وكانت أيام فرح :

لقد قال لهم الرب من قبل « ولكن حزنكم يتحول إلى فرح ... سأراكم فتفرح قلوبكم . ولا ينزع أحد فرحكم منكم » (يوحنا : ٢٠ ، ٢٢) .

واحتفالاً بهذا الفرحة ، لا تصوم الكنيسة ، ولا تنقطع عن الطعام ، لأن الرب قال : هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهم؟! مادام العريس معهم لا يستطيعون أن يصوموا ، ولكن ستأتى أيام ، حين يرفع العريس عنهم ، فحينئذ يصومون (مر ٢: ١٩ ، ٢٠) .

ولذلك فحتى صوم يومى الأربعاء والجمعة ، الذى تصومه الكنيسة على مدار السنة ، ولا تمنعه سوى الأعياد السيدية الكبرى ، هذا الصوم يتنوع فى هذه الأيام ، التى لا نذكر فيها الصلح ولا التآمر ، إنما نذكر وجود الرب مع تلاميذه ...

أيام الفرحة هذه ، أيام لقاء الرب بخاصته وأحبائه ، ليس فيها أيضاً مطانيات تذلل ، ولا فيها ألحان حزن ... حتى أنه إذا توفى خلالها أحد المؤمنين ، يدخل الكنيسة بلحن الفرحة ، بلحن القيامة ، ولا تسمعون مطلقاً لحنا حزيناً فى الحنازات ...

إنها أيام جميلة فى اختبارتها الروحية ، وفى أحداثها ، وفى فاعليتها . وأفضل تدريب فيها هو اختبار الوجود مع الله ...

الله مع أحبائه ...

كان التلاميذ فرحين إذ رأوا الرب (يوحنا ٢٠ : ٢٠) .

وكان الرب فرحاً أيضاً بوجوده وسط أحبائه .

هذا الذي « أحب خاصته الذين في العالم ، أحبهم حتى المنتهى »

(يوحنا ١٣ : ١) ... إنه يريد أن يكون معنا ، وأن نكون نحن أيضاً معه ، الآن

وإلى إنقضاء الدهر ...

أليس إسمه عمانوئيل ، الذي تفسيره الله معنا (مت ١ : ٢٣)

لذلك قال لتلاميذه في يوم الخميس الكبير :

« أنا ماض لأعد لكم مكاناً . وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً ،

أتى أيضاً وأخذكم إليّ ، حتى حيث أكون أنا ، تكونون أنتم

أيضاً » (يوحنا ١٤ : ٣) .

ونفس هذا المعنى ، قاله في مناجاته للآب :

« أيها الآب ، أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني ، يكونون معي

حيث أكون أنا » (يوحنا ١٧ : ٢٤) .

إنه لا يريد فقط أن نكون معه في الأبدية ، إنما يعدنا بذلك على

الأرض أيضاً ، فيقول « ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر »

(متى ٢٨: ٢٠) وأيضاً «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمى ، فهناك
أكون في وسطهم» (متى ١٨: ٢٠) .

وبالنسبة إلى كل فرد يحبه ، يقول « إن أحبنى أحد يحفظ كلامي ،
ويحبه أبى ، وإليه نأتى ، وعنده نصنع منزلاً» (يوه ١٤: ٢٣) .

وليس فقط عن الأحباء ههنا ، بل أيضاً عن الذين انتقلوا إلى
الفردوس ، قال للمص اليمين « اليوم تكون معى في
الفردوس» (لوقا ٢٣: ٤٢) .

ومع الخدام والرعاة ، يقول عنه سفر الرؤيا « المسك السبعة
الكواكب في يمينه ، الماشى في وسط السبع المناثر الذهبية» (رؤ ١: ٢٠)
أى أنه في وسط الكنائس ، وفي يديه رعاتها ...

هذا الذى يوجد معنا ، على الأرض ، وفي الفردوس ، وفي الأبدية ، في
وسط الكنائس ، ومع الرعاة ، ومع المصلين في كل مكان على الأرض ،
ومع كل إنسان يحبه ...

ترى على أى شىء يدل هذا ؟

أيدل هذا على محبته ، أم على لاهوته إذ هو فى كل مكان ؟ أم
على الأقل ... وجوده معنا ...

أيضاً في مجيئه الثاني ، نلمح نفس هذه الحقيقة : سيأتي على السحاب ، ومعه ربوات قديسيه (يه ١٤) . وحينما يجلس للدينونه ، يكون أحبائوه معه «... على اثني عشر كرسيّاً ، يدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر» (متى ١٩: ٢٨) .

وفي هذا المجيء الثاني ، يقول القديس بولس الرسول :
« ثم نحن الأحياء الباقين ، سنخطف معهم جميعاً في السحب ، لملاقاة الرب في الهواء . وهكذا نكون كل حين مع الرب . لذلك عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام » (١ تس ٤ : ١٧ ، ١٨) .

نعم ، ما أحلى هذه الانشودة : ونكون كل حين مع الرب .
لذلك عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام ...
حقاً ، إن الوجود كل حين مع الرب ، هو « ما لم تره عين ، وما لم تسمع به أذن ، ولم يخطر على قلب بشر . »

ما أجل أن الرب في التجلي ، لم يكن وحده ...

ظهر معه في هذا التجلي موسى وإيليا ، رمزاً للامتزجين والبتولين ، ورمزاً للذين ماتوا والذين لم يموتوا بعد ، ورمزاً لأهل الوداعة يمثلهم موسى (عد ١٢ : ٣) ، وأهل الخزم يمثلهم إيليا (١ مل ١٨ : ٤٠) . الكل مع الرب على جبل التجلي ...

ولكى تكمل الصورة ، فى حادثة التجلى . قال الكتاب إن الرب أخذ
سعه إلى الجبل بطرس و يعقوب و يوحنا (متى ١٧ : ١) ... فكانوا معه ..
وأوا هذا المجد ، وسمعوا الصوت من السحابة ...

ومجد التجلى ، يذكرونا أيضاً باورشليم السماوية ، حيث نرى الله يسكن
مع شعبه . وفى ذلك يقول القديس يوحنا الرأى : وسمعت صوتاً عظيماً
من السماء قائلاً :

« هوذا مسكن الله مع الناس . وهو يسكن معهم » .
« وهم يكونون له شعباً . والله نفسه يكون معهم ، إلهاً
لهم » (رؤيا ٢١ : ٣) .

إنها نفس الصورة القديمة لخيمة الإجتماع « الله وسط شعبه » .
ولكنها هنا فى مجد وحب وبر ، حيث لا خطية من الناس تحتاج إلى
ذبيحة ، بل الكل طاهر ...

كل هذا نتذكره فى الأربعين يوماً ، ونحن نضع أمامنا صورة الرب
وسط تلاميذه القديسين ، أحبائه واولاده ...

إننا فى هذه الأيام نحتفل بوجود الله معنا ، أو على الأقل نطلب إليه
ذلك ، كما فعل تلميذا عمواس ، إذ « أزماء قائلين :

أمكث معنا ، لأنه نحو المساء ، وقد مال النهار (لو ٢٤ : ٢٩)

يقول الإنجيل ، مكملاً هذا المعنى الجميل ، إنه « دخل ليكث معها .
ولما اتكأ معها ، أخذ خبزاً وبارك وكسر ، وناولها . فانفتحت أعينها
وعرفاه » ...

ما أحوج كلاً منا أن يقول له : امكث معي يا سيدى . وكما باركت
في ذلك الزمان ، الآن أيضاً بارك ...

من ذلك الزمان ...

إن قصة « الله معنا » هى قصة قديمة ، ودائمة ... ما أكثر ما ترددت في
الكتاب ، وسمعتها واختبرها آباؤنا القديسون ..

بدأت منذ كان الله مع آدم في الفردوس ...
وهناك كان يكلمه ، وباركه ، ويمنحنا أيضاً سلطاناً (تك ١) .
وبالخطية زال الإحساس بالوجود في الحضرة الإلهية ، وشعر الخاطيء
بانفصاله عن الله . وظهر هذا الانفصال في عمقه ، حينما صرخ قاين قائلاً
للرب « ذنبى أعظم من أن يحتمل . إنك قد طردتني اليوم عن وجه
الأرض ، ومن وجهك أختفى » (تك ١٤ : ١٣ ، ١٤) .

نعم ، إن الخطية تسبب انفصلاً عن الله ...
فيها يصرخ الخاطيء ويقول « لا تطرحني من قدام وجهك ، وروحك
القدوس لا تنزعه مني » (مز ٥٠) « لا تصرف وجهك عنى » « حتى متى
تحجب وجهك عنى » (مز ١٢) .

حيثما يتعد الإنسان عن الله ، يحس الله مبتعداً عنه ...

وأحياناً يحس ذلك وقت الخوف . والخوف ليس من الإيمان .

وهكذا يقول المرتل في خوفه من مؤامرات الأشرار « لماذا يارب تقف بعيداً . لماذا تختفي في أزمنة الضيق ؟ » (مز ١٠: ١) .

لذلك يحرص الله أن يعزى أولاده ، ويشعرهم بوجوده معهم في كل ضيقاتهم . وهكذا قال لعبده يشوع بعد موت موسى :

« كما كنت مع موسى ، أكون معك . لا أهملك ولا أتركك »

تشدد وتشجع . لا ترهب ولا ترتعب . لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب ... لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك » (يش ١: ٥، ٩) .

نفس التشجيع ، كان أيضاً من الله لأرمياء الصغير:

« لا تخف من وجوههم ، لأني أنا معك لأنقذك ، يقول الرب »
« يحاربونك ولا يقدرّون عليك ، لأني أنا معك يقول الرب ، لأنقذك »
« هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة ، وعمود حديد ، وأسوار نحاس على كل الأرض » (أر ١: ٨، ١٩، ١٨) .

نفس التشجيع الذي كان ليشوع وأرمياء ، كان أيضاً لبولس :

قال الرب لبولس لما قاومه اليهود جداً في كورنثوس :

« لا تخف ، بل تكلم ولا تسكت . لأنى أنا معك ، ولا يقع بك أحد ليؤذيك » (أع: ١٨، ٩، ١٠) .

إن الشعور بوجود الله مع الإنسان ، يعطيه قوة وثقة .
لهذا فإن مراحم الله وتعزياته تشعر الإنسان بوجود الله معه ، لكى يتعزى ويتقوى ، وتكون له جسارة قلب ، من النعمة ، لمواجهة كل ضيق ، فلا يخاف من أعدائه مهما اعتزوا جداً ...

وفى قصة الثلاثة فتية ، لم يكن الأمر مجرد وعود إلهية . إنما كان الرب معهم فعلاً ، وهم فى أتون النار ، فلم تقو على ايذائهم ، وسبحوا الله داخل الأتون ...

إن قصة الثلاثة فتية مثال قوى للوجود مع الله .
وقد كانت هذه القصة مصدر عزاء عميق للأجيال ، ونحن نتغنى بها فى التسبحة كل يوم حينما نرتل الابصلمودية ...

وكما أن الثلاثة فتية لم يخافوا النار لشعورهم بأن الله معهم ، كذلك لم يخف دانيال من إلقاءه فى جب الأسود ... وكذلك كان المرتل مطمئناً ،
حينما قال :

« إن سرت فى وادى ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك أنت معى » (مز: ٢٣ : ٤) .

وبنفس الروح قال « الرب نورى وخلصى من أخاف؟! ... إن يحاربى جيش فلن يخاف قلب . وإن قام على قتال ، فى ذلك أنا مطمئن » (مز ٢٧: ١، ٢) .

طالما السحابة فوق رأسك ، فأنت لا تخاف حتى إن دخلت فى قلب البحر الأحمر ، أو تبت سنوات فى برية سيناء ..

إن الشعور بالوجود فى حضرة الله ، لا يجعل الإنسان يخاف ، مهما كانت الأخطار محددة . وأيضاً هناك فائدة أخرى :

شعورك بالوجود فى حضرة الله ، يمنحك استحياء فلا تخطئ .

هكذا كان يوسف الصديق ... كان يشعر أنه واقف قدام الله ، والله يراه . فكيف يخطئ ، ويفعل ذلك الشر العظيم قدام الله !! وهكذا شعره بأنه يتعامل مع الله ، أعطاه استحياء فى قلبه ، وارتفاعاً عن مستوى الخطية .

حقاً ، إن الإنسان أثناء ارتكابه للخطية لا يكون فى حالة شعور بالوجود فى الحضرة الإلهية ... لا يكون الله أمام عينيه ، ولا فى فكره ، ولا فى قلبه ... بل يكون فى حالة انفصال عنه ، لأنه لا شركة للنور مع الظلمة .

على أنه كثيراً ما يحيط بنا الله وقت الخطية ، لكى ينقذنا منها ، كما يحيط بنا وقت الخطر أو الخوف لينقذنا منها ... ولكننا للأسف قد لانشعر

بيد الله التي تلمسنا لنستيقظ ، أو تلمسنا لتتقوى . ما أعمق قول القديس
اوغسطينوس :

كنت يارب معي ، لكنني من فرط شقوتي ، لم اكن معك .

إن وجود الله شيء ، والإحساس بوجوده شيء آخر..

عدم إدراك وجود الله ...

قد يكون الله مع بعض الناس ، ومع ذلك فهم لا يشعرون بوجوده
معهم ، ربما لشيء في فكرهم ، أو لظروف تحيط بهم ، تعوقهم عن
الإحساس بوجود الله وعمله ..

* مثال ذلك : جدعون ...

كان الله معه . وقد شهد ملاك الرب بذلك قائلاً له : الرب معك
يا جبار البأس (قض ٦ : ١٢) . أما جدعون الذي لم يكن يشعر بوجود الله
في حياة الشعب ، فقد ردّ على الملاك قائلاً « أسألك ياسيدي : إن كان
الرب معنا ، فلماذا أصابتنا كل هذه ؟ وأين كل عجائبه التي اخبرنا بها
آباؤنا ؟ ... » .

كان إيمان جدعون في بداءته ، يريد أن يلمس بأصابعه ...

ولم يكن يتصور وجود الله ، يتفق مع وجود الضيقات !!

في منطقته وقتذاك : إما أن يكون الله موجوداً معهم ، وحينئذ لا يمكن أن تصيهم الضيقات... ! وإما أن تكون الضيقات الموجودة دليلاً على عدم وجود الله معهم... !

إنه الإيمان ، بدون الصليب ! أو الإيمان الذي يريد الحياة سهلة ! أو الإيمان الذي يضع الله توقيتاً عاجلاً لعمله ، ولا يستطيع أن ينتظر الرب من محرس الصبح إلى الليل (مز ١٣٠) .

* مثال آخر : المجدلية ، وتلميذا عمواس ...

المجدلية ظهر لها السيد المسيح بعد قيامته ، فظنته البستاني . وكان معها ولكنها لم تعرف أنه هو . وعلى الرغم من وجوده معها ، كانت لا تزال تفكر أن جسده قد سُرق ، وربما يكون البستاني قد سرقه ، وتساءل : قل لي أين وضعته ؟! (يو ٢٠ : ١٤ ، ١٥) .

وتلميذا عمواس ، ظهر لها أيضاً السيد المسيح ، وتحدث معها ، ومع أن قلبها كان ملتهباً فيها أثناء حديثه معها ، ولكن «أعينها أمسكت عن معرفته» . ولم يدركا أنه هو ، إلا بعد اختفائه عنها ! (لو ٢٤ : ١٦ ، ٣٢) .

ما أكثر ما يكون الرب معنا ، ونحن لا ندرك !

* مثال صموئيل النبي :

تحدث إليه الرب ثلاث مرات في طفولته ، وهو لا يميز الصوت ،

ويظن أنه صوت على الكاهن ، وليس صوت الله !

وفي المرة الرابعة ، لما أجاب « تكلم يارب فإن عبدك سامع ، كان بناء على نصيحة على ، وليس لموهبة تمييز (١ صم ٣ : ٤ - ١٠) . ولكن صموئيل نما في الروح ، وصار يشعر بالوجود الإلهي ، ويميز صوت الله ، يتكلم إليه أو على فمه .

* مثال أبينا إبراهيم :

زاره الرب مع ملاكين ، ولكنه لم يميز أن هذا هو الرب ، ولم يشعر بالوجود الإلهي ، بدليل قوله له : « ياسيد ، إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك ، فلا تتجاوز عبدك . ليؤخذ قليل من ماء واغسلوا أرجلكم واتكثوا تحت الشجرة . فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون » (تك ١٨ : ٣ - ٥) .

ولو شعر أنه موجود في حضرة الله وملائكته ، ما كان يحضر كسرة خبز ليسندوا قلوبهم ! ما كان يذبح عاجلاً ، ولا يصنع لهم خبز ملة ، ولا يحضر لهم زبداً ولبناً .. !

على أن أبانا إبراهيم أدرك أنه في حضرة الله فيما بعد ، لما أعلن له الله ذاته .

* مثال اللص الشمال :

كان إلى جوار الرب على الصليب ، ولم يستفد من هذه العشرة الإلهية ، بل كان يجدف عليه . ولم يدرك أنه هو ، حتى يقول له مع زميله اللص اليمين « اذكرني يارب متى جئت في ملكوتك » . بل ظل يستهزأ به . ومات هذا اللص في خطيئته ولم يستطيع أن يقول مع بولس الرسول « مع المسيح صلبت » (غل ٢: ٢٠) لأنه لم يؤمن أنه المسيح . إنه لم يميت مع المسيح كاللص اليمين وإنما مات إلى جواره ، وقلبه بعيد عنه .

* مثال الظلمة لم تدركه :

عاش المسيح وسط أهله وعشيرته ، ولم يدركوا أنه هو . « إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله » هذا النور الحقيقي أشرق في الظلمة « والظلمة لم تدركه » (يو: ١٠: ٥ ، ١١) . ومع أنه عاش بينهم ، لم يشعروا بوجوده ، بل قالوا عليه إنه ضال ، ومضل ، وكاسر للسبت ، وناقض للشرعية ، وقالوا إنه ببعلزبول يخرج الشياطين . ورفضوه وقدموه للصلب ...

وحتى أهل قريته لم يؤمنوا به ، وعيروه بأنه ابن النجار ، حتى قيل « ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه » !

كل هؤلاء وأمثالهم ، كان الله موجوداً معهم ، ولكنهم لم يتمتعوا بالوجود الإلهي ، ولم ينالوا بركته وفاعليته .

إن الوجود مع الله ، ليس مجرد وجود مكاني ، إنما هو وجود قلبي
وعاطفي وعمل ، له آثاره ...

* مثال الشيطان :

في قصة أيوب ، كان الشيطان واقفاً في الحضرة الإلهية « جاء بنو الله
ليمشلوا أمام الرب . وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم » (أى ١ : ٦) . ومرة
أخرى « جاء الشيطان أيضاً في وسطهم ، ليمثل أمام الرب » (أى ٢ : ١) .
وكان له شرف الحديث مع الله . ولكنه لم يستفد شيئاً ، ولم يتمتع بالوجود
في حضرة الله ، بل أضاف إلى شره شراً .

وفي التجربة إلى الجبل ، التقى الشيطان بالرب ، وبنفس الأسلوب
أضاف إلى شره شراً ، ولم يتمتع بالوجود مع الله .

وأمثلة بعض الخطاة :

قايين وقف أمام الله مرتين : مرة نصحه فيها الرب وأرشده ، ولكنه لمن
يستفد شيئاً لأن قلبه لم يكن مع الله ، واستسلم للخطية الرابضة . والمرة
الثانية وقف في الحضرة الإلهية ، ولم يتمتع بالوجود الإلهي ، إنما استمع إلى
دينوته (تك ٤ : ٦ ، ٩) .

والشباب الغني تمتع بالحضرة الإلهية إلى لحظات ، ونظر إليه الرب
يسوع وأحبه . ولكنه خرج من المقابلة حزينا ، لأنه كان ذا أموال كثيرة ،
ولم يستفد من نصيحة الرب .

وبالمثل أولئك الذين دعاهم الرب للخدمة فاعتذروا ،
وبالمثل العبد البطل صاحب الوزنة الواحدة .

ويعوزنا الوقت إن ضربنا أمثلة لأشخاص وجدوا في حضرة الله ولم
يستفيدوا بل أدينوا . لذلك قلنا إنه ليس وجوداً مكانياً هذا الذى نعيه ،
بل وجوده في القلب ، في حب ...

إن كانت مأساة ، أنك توجد في حضرة الله ، ولا تشعر به فأساة
أكثر أن توجد في حضرته وتحاربه ، وتأخذ دينوته ، أو توجد في
حضرته في لا مبالاة .

كالذين يحضرون إلى الكنيسة ، يقفون أمام الله ، في بيته ، يتهاون ،
أوبفكر شارد . أو الذين يتناولون من الأسرار المقدسة ، كعادة ، بلا
عمق ، ويخرجون من التناول ليخطئوا كما كانوا ...

لذلك كله ، نحب أن تكون المشاعر متناسبة مع الوجود الإلهي .

وكم من مرة ، تقابل مع الرب الكتبة والفريسيون والصدوقيون
والكهنة وشيوخ الشعب ، ولكن قلوبهم لم تكن معه ، ونيتهم لم تكن صافية
للإستفادة منه ، بل أن بعضهم كان يسعى أن يصطاده بكلمة . لذلك
كان وجودهم مع الرب دينونة عليهم وليس نفعاً .

كذلك الفريسى الذى استضافه في بيته وليس في قلبه ، وكان يرقب
والمرأة الخاطئة تسكب دموعها على قدميه ، ويدينه في فكره . ولم يستفد
من الوجود في حضرة الله .

مشاعر تناسب الوجود مع الله ...

١ - ينبغي أولاً أن يكون لنا الإيمان بوجود الله معنا .

الإيمان بوعوده ، والإيمان بحبته ، والإيمان بعمله .

ولا يجوز لنا أن نقيس وجود الله معنا بالراحة في العالم . فالمشاكل والضيقات ليست علامات للتخلي ، وليست دليلاً على عدم وجود الله معك . الله سمح بها ، لتأخذ ما فيها من بركة ، ومن أكاليل ، ومن فوائد روحية . وهى تصيبك لكى تظهر معدنك الطيب كما حدث لأيوب ، ولكى تأخذ منها خبرة في الحياة . وأيضاً لكى تنزكى ، ولكى تقويك وتصقلك .

إن أسعد أوقات اللص اليمين ، كانت وهو مصلوب مع المسيح .

كن إذن شديداً في الضيقة . لا تجعل الضيقة تحطمك ، وإنما حطمها أنت بآيمانك . إن الزجاجة إذا وقعت على صخرة ، لا تتحطم الصخرة ، وإنما تتحطم الزجاجة . كن إذن صخرة ...

٢ - لا تعتبر وجود الله في حياتك مؤقتاً ، بل دائماً .

إن المسيح لم يكن مع تلاميذه خلال الأربعين يوماً فقط ، وإنما « كل الأيام وإلى انقضاء الدهر » ...

إن كان معهم في الأربعين يوماً بطريقة منظورة ، فقد كان معهم كل الأيام بطريقة غير منظورة . وكانوا يؤمنون بهذا . بل أن بولس الرسول يقول

« لكى أحيأ لا أنا ، بل المسيح يحيا فقى » (غل ٢ : ٢٠) . إذن كان يؤمن أن المسيح ليس فقط معه ، وهو بالأكثر فيه ...

لذلك إن حوربت بأن الله ليس معك ، قل لنفسك : كلا ، إنه معى ، ولكننى أنا الذى لا أدرك وجوده ، كما حدث مع المجدلية ... العيب إذن فىنا ، وليس فى عدم وجوده .

٣ - لذلك ينبغى أن تكون حواسك الروحية مدربة وإن لم تدرك وجوده مباشرة ، فستدرك ذلك بالتدريج .

المجدلية لم تدرك وجوده ، وظنته البستانى . ولكن الرب عمل فيها ، فشعرت به أخيراً ، وقالت له « رابونى » أى يامعلم .

والمولود أعمى ظن أنه إنسان بار ، ثم نبى . ولما حدثه الرب عن ابن الله ، سأل : من هو لاؤمن به ، إذ لم يكن إلى تلك الساعة يعرفه . على أنه عرفه أخيراً وآمن وسجد له (يو ٩ : ٣٥-٣٨) .

السامرية أيضاً عرفته أيضاً بالتدريج وليس من أول وهلة . والتلاميذ ظنوه أولاً خيلاً أوروباً ، ثم آمنوا أخيراً (لوقا ٢٤ : ٣٧) . ولم يؤمنوا فقط ، بل نشروا الإيمان فى كل مكان . وقالوا عنه : الذى رأيناه وسمعناه ولبسته أيدينا (١ يو ١ : ٣) .

لا تتضايق إذن إن كان إدراكك ضعيفاً لوجود الله في حياتك . إنما عليك أن تصلى وتقول [أعن يارب ضعف إيماني] وثق أن قوته في الضعف تكمل (٢ كور ١٢ : ٩) .

ملاحظة أخرى هامة جداً أقولها لك ، وهي :
٤ - لا يكفي أن يكون الله معك ، إنما يجب بالأكثر أن تكون أنت أيضاً معه ... لك معه شركة .

وليتك تأخذ درساً من ملائكة الكنائس السبع في آسيا لم يكن الرب فقط معهم ، وإنما كان أيضاً ممسكاً بهم ، وكانوا في يمينه (رؤ ٢ : ١) . وعلى الرغم من هذا يقول الرب لملاك كنيسة أفسس « عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى . فاذا كرم من أين سقطت وتب ... وإلا فإنى آتيتك عن قريب ، وأزحزح منارتك من مكانها إن لم تتب » (رؤ ٢ : ٤ ، ٥) ... عجيب أنه في يمين الله ، وقد سقط ، ويحتاج إلى توبة ... !

وأخطر من هذا ملاك كنيسة لاودكية الذى يقول له الرب « أنا عارف أعمالك أنك لست حاراً ولا بارداً ... هكذا أنا مزعم أن أتقيأك من فى . لأنك تقول إني أنا غنى ... ولست تعلم أنك أنت الشقى والبائس وفقير وأعمى وعريان ... فكن غيوراً وتب » (رؤ ٣ : ١٥ : ١٩) .

وأخطر من هذين ملاك كنيسة ساردس ، الذى يقول له الرب : إن لك إسماً إنك حى وأنت ميت (رؤ ٣ : ١) ... ومع ذلك كان في يمين الله ، الرب ممسك به .

إذن لا يكفي بأن يكون الله معك ، إنما كن أنت أيضاً معه ، بكل القلب والفكر والحواس والإرادة .

٥ - ولتكن لك المشاعر اللائقة بالوجود في حضرة الله .

ولعل منها الخشوع . فإن يشوع النبي لما أحس أنه أمام رئيس جند الرب ، يقول الكتاب « فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض وسجد . وقال له : بماذا يكلم سيدي عبده » (يش ٥ : ١٥) . وخلص نعله من رجله ، لأن المكان الذي كان واقفاً فيه مقدس .

وهكذا فعل موسى النبى أيضاً ، حينما ظهر له الرب وكلمه في العليقة التي لا تشتعل (خر ٣ : ٥) .

وكما يليق الخشوع بالوجود مع الله ، كذلك يليق البر . لأنه « أية شركة للنور مع الظلمة » (٢ كو ٦ : ١٤) .

ويليق بالوجود مع الله الفرح ، فقد فرح التلاميذ لما رأوا الرب (يو ٢٠ : ٢٠) . كذلك تليق مشاعر أخرى كثيرة من الحب والسلام ... وغيرها .

وستتكلم عن هذا كله بالتفصيل في المحاضرات المقبلة إن شاء الله .

غير أنني أود أن أختم بملاحظة هامة وهي أن فترة الوجود مع الله هي فترة حب ، تليق بها سرية العلاقة الشخصية .

مشاعر تحفظ في سرية ...

أربعين يوماً قضاها المسيح مع تلاميذه ، ومع ذلك لم يسجل الكتاب ما دار في هذه الأيام من مشاعر ومن أحاديث ، إنما جملها سفر أعمال الرسل في عبارة بسيطة . أما الأناجيل فأشارت بالأكثر إلى شكوك التلاميذ وضعفاتهم وكيف عاجلها الرب . ولم تذكر لنا حتى تفاصيل يوم واحد من الأربعين يوماً ...

هنا وأتعجب من الذين يقفون أمام الناس ليحكوا اختباراتهم !!

أين اختباراتكم هذه من اختبارات آباءنا الرسل ، الذين لم يسجلوا منها شيئاً ، ولم يذكروا سوى ضعفاتهم وشكوكهم ...

إن حياة الحب والعشرة مع الله ، هي قدس أقدس ، يليق بها الصمت . والحديث عنها تعليم غير كتابي ...

مرم أخت لعازر ، إختارت النصيب الأفضل ، وجلست عند قدمي المسيح ، تتأمله ، وتستمع إليه ، ولكنها لم تذكر شيئاً من كل هذا ، ولا سجل الكتاب شيئاً منه ... إنه قدس أقدس .

وموسى النبي قضى مع الرب أربعين يوماً على الجبل ، دون أن يحكى ماذا قال له الرب فيها ، وما أعماق تلك العشرة ..

واخنوخ الذى لم يميت ، سجلت حياته كلها فى عبارة واحدة تقريراً
هى « وسار اخنوخ مع الله ، ولم يوجد لأن الله أخذه » (تك ٥ : ٢٤) . ولم
يشرح الكتاب كيف سار اخنوخ مع الرب ، ولا اخنوخ تحدث عن هذا
إنه قدس أقداس .

وبولس الرسول صعد إلى السماء الثالثة ، ولكنه لما نزل ما قص علينا
شيئاً مما رآه ، بل قال إنه « سمع كلمات لا ينطق بها ، ولا يسوغ لإنسان
أن يتكلم بها » (٢ كو ١٢ : ٤) .

لماذا يا معلمنا بولس العظيم لا تحكى لنا اختباراتك ، كما يحكى أبناء
اليوم؟! مبارك هو صمتك . إنه أيضاً قدس أقداس .

بل أكثر من هذا مريم العذراء ، فى كل عشرتها مع المسيح ، لعلنا
نقول : ليتها حكمت لنا تلك الثلاثين سنة التى عاشها المسيح قبل خدمته
الجهارية ، تلك التى ختم عليها بالصمت ... لقد صمتت العذراء . وكانت
تحفظ كل هذه الأمور متأملة بها فى قلبها (لو ٢ : ٥١) .

إن الصمت وليس الكلام ، هو الذى يليق بالروحيات والحب الإلهى
والعشرة مع الله ، مثلها صمت التاريخ عن تأملات القديس الأنبا بولا
السائح خلال ثمانين عاماً فى الوحدة .

هكذا صمت التلاميذ عن الأربعين يوماً . وما حدثهم المسيح عنه
من الأمور المختصة بملكوت الله ، ظهر فى حياتهم وممارساتهم ، ووصل إلينا
بالتقليد ، أكثر مما وصل بالكلام .

ولعلك تقول : لماذا لم يتكلم هؤلاء جميعاً ، لتتعلم من حياتهم ؟
أقول لك : عش مثلهم ، وأنت تعرف حينئذ ما أخفوه .

أجلس عند قدمي المسيح ، مثلما جلست مريم ، وحينئذ سيقول لك ما
قاله لها ، أو ما يناسبك من أحاديث أخرى ...

وإن أحببت المسيح ، كما أحبه الرسل ، وتركوا كل شيء وتبعوه ،
فحينئذ سيحدثك مثلهم عن الأمور المختصة بملكوت الله ، ليس فقط على
مدى أربعين يوماً ، وإنما طول الحياة .

افتح قلبك لله ، وهو يملؤه حباً . وافتح ذهنك له ، وهو يضع فيه أجمل
الأحاديث . عش معه بكلياتك ، يفض عليك من مواهبه ونعمه وقوته ،
وحينئذ تقول مع داود في المزمور :
« إني اسمع ما يتكلم به الرب الإله » .

أما إن أردت أن يحدثك الرب وأن يعطيك ، لكي تشرح
للآخرين وتحكي ، فإنك تكون قد خرجت من سرية الحب ، وبدلاً
من المخدع المغلق صرت تبوق قدامك بالبوق .

أما إن احتفظت بقدسية العلاقة وسريتها ، فإن الرب يقول عنك
« أختي العروس جنة مغلقة ، عين مقفلة ، ينبوع مختوم » (نش ٤ : ١٢) .

القيت هذه المحاضرة في الكاتدرائية الكبرى بالقاهرة يوم الجمعة ١/٥/١٩٧٠ م .

[٢]

أوقات الإحساس بالوجود مع الله

« حقاً إن الرب في هذا المكان ،
وأنا لم أعلم » .

(تك ٢٨ : ١٦)

ما هي أوقات الإحساس بوجود الله ؟
متى تشعر النفس بأن الله موجود معها ؟
في الحقيقة ، من ضمن الأوقات الأساسية التي نحس فيها بوجود الله
معنا :

١ - أوقات الضيق والتعب :

وقت الضيق ، هو وقت الإحتياج إلى الله . وفيه تشعر بوجود الله ،
أكثر مما تشعر في وقت الراحة أو المتعة . تشعر في الضيقة بيد الله كيف
تتدخل وتعمل وتنقذ ...

يعقوب أبو الآباء ، بدأت خبراته الروحية في وقت الضيقة .

لم نسمع له عن خبرات روحية ولا مناظر ولا رؤى في بيت أبيه ، ولا
صراع مع الله ، ولا وعود إلهية ، ولا تغيير لإسمه ...

ولكن لما قال عيسو « أقوم وأقتل يعقوب أخى » (تك ٢٧ : ٤١)
وهرب يعقوب من وجه أخيه هنا بدأ يشعر بوجود الله في حياته ... وفي
هروبه وضيقتته رأى السلم الواصلة بين السماء والأرض ، ورأى الملائكة
صاعدة ونازلة عليها ، وسمع صوت الله يقول له « ها أنا معك ، وأحفظك
حيثما تذهب ، وأردك إلى هذه الأرض » (تك ٢٨ : ١٠-١٥) . وبدأت
ليعقوب سلسلة من الخبرات الروحية في الحياة مع الله ...

ونفس الوضع بالنسبة إلى يوسف الصديق :

لم يدخل في العشرة الإلهية كما ينبغي ، وهو ابن مدلل في بيت أبيه ، له قيصر ملون ، وأحلام جميلة ، تثير حسد أخوته وغيرتهم ... ولكن لما ألقى في البئر ، ولما بيع كعبد ، بدأ يختبر يد الله معه ، كيف ينجح طريقه ، وكيف يعزیه حتى وهو في السجن ، وكيف يمنحه موهبة تفسير الأحلام ، ويمنحه نعمة في عيني حافظ السجن والمسجونين ، بل يمنحه نعمة في عيني فرعون نفسه « والله أراد به خيراً » (تك ٥٠ : ٢٠) .

أفضل أيامه الروحية ، كانت وهو في الضيقة . أما لما صار وزيراً ، فلم نسمع عنه حينئذ رؤى أو أحلام ، بل كان رجل إدارة وسلطة . ولم تكن إرادة الرب مكشوفة له وقت مباركة إبنه افرام ومنسى ، كما كانت مكشوفة لأبيه يعقوب الذي عاش في الضيق (تك ٤٨ : ١٧-١٩) .

ويونان النبي كانت أعمق روحياته وهو في بطن الحوت .

حينما كان طليقاً ، كان معانداً للأمر الإلهي ، متمسكاً برأيه . أما حينما ابتلعه الحوت ، وجازت فوقه التيارات واللجج ، حينئذ صرخ من جوف الهاوية ، فسمع الرب صوته . لما أعيت فيه نفسه ، صلى يونان إلى الرب وهو في جوف الحوت ، وقال « حين أعيت في نفسي ، ذكرت الرب ، فجاءت إليك صلاتي ... بصوت الحمد أذبح لك ، واوفى بما نذرته » (يون ٢ : ١، ٧، ٩) .

وأمثلة لأنبياء وأبرار كثيرين :

الثلاثة فتية تمتعوا بوجود الله معهم ، وهم في أتون النار . ودانيال النبي شعر بعمل الله لأجله وهو في جب الأسود .

وبطرس الرسول لمس يد الله معه وهو في السجن (أع ١٢ : ٦ ، ٧) وكذلك القديس بولس أيضاً (أع ١٦ : ٢٥ ، ٢٦) . ويوحنا لم يبصر تلك الرؤيا العظيمة ، إلا وهو في الضيقة ، منفياً في جزيرة بطمس (رؤ ١ : ٩ ، ١٠) .

وتلاميذ الرب أبصروا يده معهم ، لما اضطربت السفينة وهاجت الريح ، فأتاهم في الهزيع الأخير من الليل ، وانتهر الريح .

حقاً ، حينما لا توجد حلول بشرية ، نبصر يد الرب تعمل .

أحياناً ، لما يرتفع الإنسان في مركزه ، يحتفى عمل الله من قاموسه . ومن الجائز أن تجد في هذا القاموس كلمات الشهرة والمال والعظمة والمركز ، أما كلمة الله فتكون عزيزة .

ولكن حينما تحل الضيقة تتعلق عيناه بالرب إلهه . وهكذا كان بنو إسرائيل في تاريخهم القديم .

في فترات المتعة ، كانوا ينسون الرب ، بل كثيراً ما عبدوا الأصنام . فلما كان الرب يدفعهم إلى أيدي أعدائهم ، فيذلونهم ، كانوا حينئذ

يصرخون إلى الرب ، فيرسل لهم من عنده من يخلصهم ، كما يشرح لنا سفر القضاة . بل ما أعمق قول المرتل في هذه الخبرة « املأ وجوههم خزيًا ، فيطلبون وجهك يارب » .

ربما في قوتنا ، نعتمد على قوتنا . وفي الشدة نختبر الرب .

يقول الرب « ادعني في وقت الضيق ، أنقذك فتمجديني » .

إن اختبار عبور البحر الأحمر ، كان في وقت الشدة .

كذلك ضرب الصخرة التي فجرت ماء ، وكذلك السحابة المظلمة .

إن أرملة صرفقة صيدا ، لم تختبر الوجود مع الله وعشرته ، إلا في وقت المجاعة ، وحينما مات ابنها . هنا ظهر الله في حياتها . وبالمثل المرأة الشونمية لما مات ابنها أيضاً ...

إننا نتمتع بوجود الله في وقت الضيقة ... ونحس وجوده ، ونطلب وجوده ونلمس جوده ... وكذلك نتمتع بوجوده الإلهي في أوقات الصلاة والتأمل والعبادة .

٢ - أوقات الصلاة والتأمل ...

الأوقات الروحية مناسبة جداً للشعور بالوجود في حضرة الله . وهكذا ما كان يحسه آباؤنا القديسون في خلواتهم ووحدهم . لذلك كانوا يتركون ضجيج العالم إلى البرارى ، حيث ينفردون بالله . ويشعرون بأنهم وجدوه هناك ، وأحسوه في صلواتهم وتأملاتهم .

رؤيا يوحنا ورؤيا بولس :

في سفر الرؤيا ، القديس يوحنا الحبيب ، لم يجد الله في الضيقة فقط ، إنما يقول « كنت في الروح في يوم الرب » (رؤيا : ١٠ : ١٠) . كان في حالة روحية ، ملتصقاً بروح الله ، مرتفعاً بقلبه إليه ، في يوم مقدس . وفي هذا الجوارح الروحي ، رأى السماء مفتوحة ، وأبصر عرس الله ، والقوات السماوية تسبحه. القديس بولس الرسول أيضاً ، يعطينا نفس الصورة أيضاً في صعوده إلى السماء الثالثة . كان هو أيضاً في حالة روحية وصفها بقوله « أفي الجسد أم خارج الجسد ؟ لست أعلم ، الله يعلم » (٢ كور : ١٢ : ٢ ، ٣) .

إن الانسان يحس وجود الله في الأوساط الروحية ، عندما يلتصق قلبه بالله ، وتتلامس روحه مع الله .

القديس غريغوريوس أسقف نيصص ، كان أثناء خدمته للقداس الإلهي ، يبصر الروح القدس على هيئة حمامة . وأحياناً كان الرب يعلن له من هو مستحقاً للتناول ومن هو غير مستحق ...

وكثير من الآباء الكهنة ، أثناء القداسات ، يكونون في حالة روحية غير عادية ، يشعرون أثناءها بالوجود الفعلي مع الله .

هنا جوروحي خاص : من جهة الإستعداد لهذه الخدمة المقدسة ، والإستعداد للتناول ، وهيبة الهيكل والمذبح والذبيحة ، وجوالبخور ولصلوات ، والقيام الفعلي أمام الله . كل ذلك يعطى شعوراً خاصاً يندر وجوده في أوقات أخرى ...

لذلك أنا أعجب من الذين يطلبون أن يسجل لهم أحد الآباء الكهنة قطعة من القداس في وقت يختارونه .

إنه حينئذ سيسجل لحناً ، ولا يقدم نفس الروح شتان بين تسجيله للحن في أى وقت ، وتسجيله في وقت القداس الإلهي ، في جوروحي خاص ، وفي حالة روحية خاصة ! وفي شعور بالوجود أمام الله ، بتأثير الذبيحة المقدسة ...

بنفس المنطق أيضاً ، نقول إن هناك فرقاً جوهرياً بين أن تسمع القداس الإلهي ، وأنت في الكنيسة تعد نفسك للتناول ، وأن تسمعه في بيتك من الاذاعة أو من جهاز تسجيل ...

في وقت الصلاة والتأمل ، يشعر الإنسان بالله يملأ قلبه ، ويشعر بأن الله يحيط به ، كما يشعر أنه واقف أمام الله يكلمه . أنظروا كيف أن المسيح يقول « حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمى ، فهناك أكون في

وسطهم» . هذا الشعور بأن الله في وسطنا ، هو شعور روحى يشعر به الإنسان في وقت الصلاة .

ويشعر أيضاً بأن الملائكة حوله ، وبأن أرواح القديسين أيضاً تحيط به ، بأن روحاً عميقاً في داخله يعطيه ما يقوله ...

لهذا كانت لاجتماعات الصلاة قوتها وتأثيرها ، ولهذا كانت لليالي الصلاة وسهراتها فاعلية عميقة داخل النفس وقوة غير عادية ...

نتذكر أن تلاميذ الرب فيما كانوا يخدمون الرب و يصلون ، كلمهم الروح القدس ، وقال لهم : افرزوا لى برنابا وشاول (أع ١٣ : ٢) .

وفي إحدى المرات وهم يصلون ، تزعزع المكان من قوة الصلاة ، أو من الوجود الإلهى أثناء الصلاة ، وامتلاً المشتركون في الصلاة من الروح القدس (أع ٤ : ٣١) .

الصلاة جعلت الرب يحل بمجده في المكان فشعر المصلون بوجود الله ، وبأن السحابة قد استقرت على الخيمة .

هنا يشعر الإنسان بالعزاء ، وبالفرح والسلام ، ويشعر بلذة البقاء في الصلاة ، وأنه يود لو كانت الصلاة لا تنتهى ...

وكما قال أحد الآباء عن الصلاة : ومن فرط حلاوة الكلمة في أفواههم ، ما كانوا يريدون أن ينتقلوا منها إلى كلمة أخرى في صلواتهم .

الذى يشعر بلذة الصلاة ، وبوجود الله معه فى الصلاة ، لا يجب أن ينتقل من جو الصلاة إلى أى جو آخر بعيد عنها . ولو انتهت صلاته ، قد يظل واقفاً ، ولو صامتاً ، يعز عليه أن ينزع نفسه من هذا الجو الروحى ... ولو يقول عبارة واحدة : لا أريد يارب أن أتركك إلى عمل آخر . ولا أريد أن أختتم الحديث معك ، لكى أتحدث مع أحد سواك ...

من هنا كانت الصلاة الدائمة . ليست كعمل تعصبى أو مجرد تدريب ، إنما رغبة فى البقاء مع الله أطول وقت ...

هناك أوقات كثيرة تشعر فيها بالوجود مع الله ، ولكن وقت الصلاة والتأمل هو أعمقها وأقواها ...

وماذا أيضاً يشعرك بالوجود فى حضرة الله .

٣ - الأماكن المقدسة ...

إن جو الكنيسة والأماكن المقدسة ، يشعرك بالوجود مع الله ، أكثر من شعورك فى أى مكان آخر ...

ولهذا نجد إنساناً روحياً مثل داود النبى ، يستطيع أن يكون روحياً فى أى مكان ويتمتع بالله ... إلا أنه مع ذلك يقول « مساكنك محبوبة أيها الرب إله القوات . تشواق وتذوب نفسى للدخول إلى ديار الرب . قلبى وجسمى قد ابتهجا بالإله الحى » . « مذاحك أيها الرب إله القوات ملكى وإلهى . طوبى لكل السكان فى بيتك ، يباركونك إلى الأبد » (مز ٨٣) .

و يقول « واحدة طلبت من الرب وإياها التمس ، أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي ، لكي أنظر إلى نعيم الرب وأتفرس في هيكله » (مز ٢٦) .

وهكذا يترنم المرتل بالجبل المقدس ، ومدينة الله ، ويقول « أساساته في الجبال المقدسة . أحب الرب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب » « أعمال مجيدة قد قيلت عنك يا مدينة الله » (مز ٨٦) « ههنا موضع راحتي إلى أبد الأبد . ههنا أسكن لأنني اشتيته » (مز ١٣١) « ببيتك تليق القداسة يارب » (مز ٩٢) « رفعت عيني إلى الجبال ، من حيث يأتي عوني » (مز ١٢٠) .

إن زيارة لمكان مقدس ، لدير ، لمغارة قديس ، لكنيسة قديمة ، قد تكون لها تأثيرات روحية عميقة داخل النفس .

تشعر الإنسان بوجود الله في هذا المكان ، كما قال أبونا يعقوب عن بيت إيل « إن الله في هذا المكان » (تك ٢٨) .

ولهذا يحدز أحياناً كلما أحس الإنسان باحتياجه إلى دفعة روحية قوية ، يقوم بزيارة لمكان مقدس ، ترجع إليه الشعور بوجود الله معه ، أو بوجوده أمام الله ، فيلتهب قلبه ، لمجرد نظر البناء ، أو لمجرد نظر أيقونة معينة لها تأثير في النفس ، أو لمجرد تذكر أن قديساً معيناً عاش مع الله في هذا المكان ...

أوقد يلجأ الإنسان إلى أية واسطة روحية تشعل محبة الله في قلبه ،
وتشعره بهذا الوجود الإلهي داخل القلب ...

وإن اجتمع تأثير المكان ، وتأثير العمل الروحي معاً ، فإن هذا يكون
أنفع جداً ... بل هناك أمكنة تدفع الإنسان دفعاً إلى الصلاة ، أو تعطيية
عمقاً خاصاً في صلواته ، أو في تراتيله وألحانه ، أو في تأملاته وقراءاته ...

على أن الوجود في الحضرة الإلهية ، قد لا يأتي سببه منا ، وإنما من
زيارة النعمة لنا ، في وقت لا نعلمه ، أو لا نتوقعه ، أو لم نعد أنفسنا له ...

٤ - وقت لا نعلمه ...

حقاً ، كما قال الرب في الإنجيل المقدس « إن ملكوت الله لا يأتي
بمراقبة » (لوقا : ١٧ : ٢٠) .

الروح يهب حيث يشاء .

نحن لا نعلم متى يتحدث الله إلينا ، متى يعلن لنا ذاته ، متى تزورنا
نعمته ، متى نجد أنفسنا أمام الله ...

إنما في وقت لا نعلمه ، يعمل الله في قلوبنا من حيث لا ندري ،
و يشعرونا بوجوده . وهكذا فعل مع القديسين .

في وقت ما كان يتوقعه موسى النبي ، وبطريقة لم تخطر له على بال ،
كلمه الله من النار المشتعلة في العليقة ، وأعلن له ذاته ، وأرسله ليخلص
الشعب ... (خير ٣) .

وفي وقت ما ، كلم الله أبانا إبرام ، ودعاه للحياة معه (تك ١٢) .
وجد إبرام نفسه أمام الله ، دون أن يسعى إلى ذلك ، ودون أن يخطر له هذا
على بال . وتكرر الأمر في حياته مرات ... إن ملكوت الله لا يأتي بمراقبة .

كذلك صموئيل النبي وهو طفل ، ما كان ينتظر مطلقاً ، أن يكون له
حديث مع الله ، أو أن يختاره لرسالة معينة أو لنبوة ، ولكنه وجد نفسه أمام
الله في وقت لا يعلمه ولا يتوقعه ...

وبنفس الأسلوب ، شاول الطرسوسى فى طريق دمشق ، وجد نفسه
أمام النور ، وأمام دعوة ، وأمام عتاب ، وأمام المسيح شخصياً . وصار
رسولاً من حيث لا يدرى ، بل وفى عكس الطريق الذى انتهجه لنفسه .

فى وقت غير معروف ، تفتقد النعمة قلب إنسان ، فتشعله . كما هو
مطلوب منه ، أن يتجاوب ويستغل الفرصة .

أنت لا تدري متى يطرق الله على بابك . كل ما تدريه أنك أن
سمعت صوته لا تقسى قلبك ، بل تفتح بابك مباشرة ، وتقول له فى حب :
تعال أيها الرب يسوع .

مشكلة عذراء النشيد ، إنها لم تفتح للرب ، حيناً أنها طافراً على
الجبال وقافزاً على التلال ، ولا حيناً مديده من الكوة ، فأنت عليه
أحشاؤها . لذلك قالت فى ألم شديد : « حبيبي تحول وعبر . نفسى خرجت
حيناً أدبر . طلبته فما وجدته . دعوته فما أجابنى » (نش ٥ : ٢-٦) .

في فترات زيارة النعمة ، يشعر الإنسان بوجود الله معه . يشعر بحرارة غير عادية ، واقتراب قلبه إلى إلهه ، ومحب عجيب للرب وملكوته ، وبرغبة في الصلاة ، وعمق في التأمل ، كما يشعر بسيطرته على فكره وتوجيهه توجيهاً روحياً .

إن رأيت هذا في نفسك ، فتذكر قول الرسول « لا تطفثوا الروح » (اتس ٥ : ١٩) . وإن لم تكن في هذه الحالة الروحية ، فلا تحاول أن ترقبها متى تجيء . إنما يكفي أن تقول في مزاميرك « مستعد قلبي يا الله ، مستعد قلبي » (مز ٥٦) .

وباستمرار كلما وجدت في داخلك إشتياً روحياً ، حاول أن تلهبه بالأكثر . إن وجدت في داخلك رغبة في التوبة أو في الاعتراف ، فلا تتوان ولا تؤجل . وإن وجدت رغبة ملحة أن تصلى ، فلا تتكاسل . وإن وجدت نفسك قد تأثرت بعظة أو صلاة أو لحن أو تريلة ، فلا تجعل هذا التأثير يضع بلا ثمر . إستفد من وجود الله معك ، لنموك الروحي .

واحترس من أن يكبر قلبك خلال زيارات النعمة .

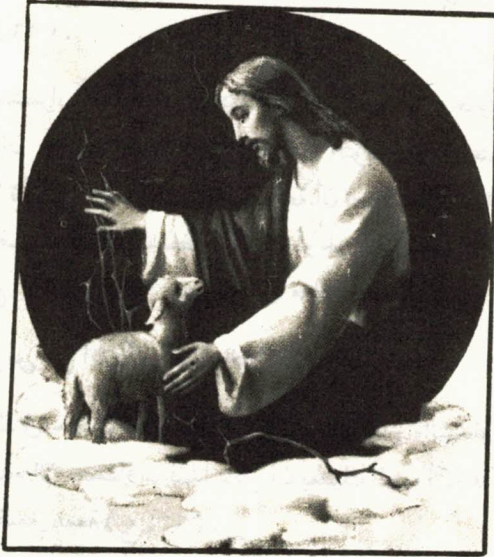
وجودك في حضرة الله ، يناسبه التواضع بالأكثر ، وانسحاق القلب ، والشعور بعدم الإستحقاق ، فهذا يمكن أن يعطيك الرب أكثر فأكثر ، لأنه يعطى المتواضعين نعمة (يع ٤ : ٦) .

وكلما تجرد نفسك مع الله ، قل : إنه من أجل إحتياجي سمح الرب أن يفتقدني بنعمته ، وليس ذلك بسبب إستحقاقى .

إنه ليس بجهدنا نكون مع الرب ، إنما بجنانه وجوده .

من أجل محبته لبني البشر ، من أجل عدم مشيئته أن يموت الخاطيء ،
من أجل رعايته وعنايته وأبوته ، يفتقدنا بوجوده معنا ، حتى دون طلب
منا ، كما فعل مع تلميذى عمواس ومع شاول الطرسوسى .

تبارك الرب فى عظم محبته . له المجد من الآن وإلى الأبد آمين .



القيت هذه المحاضرة فى الكاتدرائية الكبرى ، مساء يوم الجمعة ١٥/٥/١٩٧٠ م .

[٣]

شهوة الوجود مع الله

الوجود مع الله : شهوة

دعوة للآخرين

فرح بالأبدية

شهوة الوجود مع الله ...

الوجود مع الله شهوة في القلب النقي .

الإنسان الروحي يشاق أن يوجد باستمرار مع الله لذلك نجد داود النبي يقول « كما يشاق الأيل إلى جداول المياه ، كذلك إشتاقت نفسي إليك يا الله ، عطشت نفسي إلى الله ، إلى الإله الحي . متى أجيء وأترأى قدام الله » (مز ٤٢ : ١ ، ٢) « يا الله ، أنت إلهي ، إليك أبكر . عطشت نفسي إليك ... باسمك أرفع يدي ، فتشبع نفسي كأنها من شحم ودسم » (مز ٦٢) « إليك يارب رفعت نفسي ... إياك انتظرت النهار كله » (مز ٢٤) « طلبت وجهك ، ولوجهك يارب التمس . لا تحجب وجهك عني » (مز ٢٦) « التحقت نفسي وراءك » (مز ٦٢) أي جرت وراءك .

وكما يشاق المرتل إلى الله ، يشاق إلى كل ما يتعلق به ، إسمه ، بيته ، وصاياه ...

يقول « محبوب هو إسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتي » (مز ١١٨) ونقول في الابصلمودية « إسمك حلو ومبارك ، في أفواه قديسيك » .

وعن كلام الرب يقول « وجدت كلامك كالشهد فأكلته » « كلماتك حلوة في حلقى . أحلى من العسل والشهد في فمى » (مز ١١٨) .

وعن بيت الرب يقول « فرحت بالقائلين لى إلى بيت الرب نذهب »
(مز ١٢١: ١) « تشتاق وتذوب نفسى للدخول إلى ديار الرب »
(مز ٨٣: ٢) « واحدة طلبت من الرب وإيها التمس ، أن أسكن فى بيت
الرب كل أيام حياتى ، لكى أنظر إلى نعيم الرب ، وأتفرس فى
هيكله » (مز ٢٦) .

الإنسان الذى يحب الله ، يشواق أن يكون معه فى كل حين ، ناموسه
هو درسه ، وصاياه هى تلاوته ، محبته هى الغذاء التى تتغذى به الروح ،
ويتغذى به الفكر ...

أما الذى يضجر بسرعة ، إن جلس مع الله ، ويدركه السأم والملل إن
طال به الوقت فى الصلاة ، أو فى الكنيسة ، أو فى قراءة الكتاب أو التأمل
الروحى ، فهذا إنسان جاف فى قلبه ، بعيد عن حياة الروح ...

بعكس هذا ، الإنسان الروحى ، الذى يمتلىء قلبه بمحبة الله ، فإنه
ليس فقط يشواق إلى الله ، وإنما يدعو الآخرين أيضاً ...

دعوة الآخرين ...

إنه يدعو الكل إلى عشرة الله ، ويقول لهم ما قاله المرتل فى المزمور
« ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب » (مز ٣٣) .

المرأة السامرية ، لما تمتعت قليلاً بالوجود مع المسيح ، ذهبت تبشر به
فى كل المدينة ، وتدعو الناس قائلة « تعالوا وانظروا إنساناً قال لى كل ما

فعلت» (يو: ٢٩) ... لقد ارادت لهم أن يذوقوا ما قد ذاقته من حلاوة الوجود معه ، ولذة الحديث معه ، وجمال عشرته ، وحلو حديثه .

وهنا الفرق بين المحبة الروحية ، والمحبة الدنيوية ... محبة العالم ، هي محبة أنانية ، تريد أن يكون ما تحبه لها وحدها . أما المحبة الروحية ، محبة الله وعشرته ، فإنها تشرق على الجالسين في الظلمة ، وتريد أن يشاركها الكل في حبها ، وفي الله الذي تتمتع به . لا تريده لها وحدها ، إنما للكل ...

لما فيلبس تعرف على المسيح ، قال لثنائيل « وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس ، والذي كتب عنه الأنبياء » (يو: ١٥: ٤٥) . ولما ذاق يوحنا الرسول حلاوة العشرة مع المسيح ، كتب في رسالته الأولى « إن الحياة أظهرت ، ونشهد ونخبركم ... الذي رأيناه وسمعنا نخبركم به ، لكي تكون لكم أيضاً شركة معنا ... لكي يكون فرحكم كاملاً » (١ يوا: ٢-٤) .

كل من يمتلىء بمحبة الله ، تراه يفيض من هذا الحب على الآخرين ويدعوهم لمشاركته ... وماذا أيضاً ؟

الذي يحب الله ، يحب الأبدية . وليس فقط يحب الله على الأرض ، إنما يحبه أيضاً هناك في العالم الآخر .

وإذا بمحبة الوجود مع الله ، تتحول إلى فرح بالأبدية .

فرح بالأبدية ...

إن سمعان الشيخ ، لما حمل المسيح على يده ، وفرح بهذا الخلاص ، صرخ من عمق قلبه قائلاً « الآن يارب تطلق عبدك بسلام ، لأن عيني قد أبصرتا خلاصك ... » (لوقا : ٢٨ - ٣٠) .

الذين يحبون عشرة الرب حقاً ، ويرون ما في العالم من عوائق المادة والجسد ، يشتاقون أن ينطلقوا من هذا الجسد ، لكي تكون لهم فرصة أوسع في عشرة الله ، ولكي يكونوا في كل حين مع الرب (١ تس : ٤ : ١٧) . وهكذا نرى القديس بولس الرسول يقول « لى اشتاء أن أنطلق ، وأكون مع المسيح ، فذاك أفضل جداً » (في ١ : ٢٣) . إذن شهوة الإنطلاق هنا ، هدفها هو الوجود مع الله ، فذاك أفضل جداً ...

إن الذى يشعر بلذة الوجود مع الله ، لا يهمله الموت ، بل على العكس يرى أن الموت هو جسر ذهبي جميل ، يوصل إلى حياة أفضل ، إلى الفردوس ، إلى النعيم ، إلى الوجود مع الآب كل حين ، إلى التخلص من الحياة فى المادة وما تسببه من معوقات . لذلك يكون تفكيره فى اورشليم السماوية ، مسكن الله مع الناس ، تفكيراً له أعماقه العاطفية فى القلب ...

إن اسطفانوس أول الشمامسة ، لما اقترب من الموت ، اعنى لما اقترب من الإنتقال إلى عشرة الله الدائمة ، كان فرحاً ومتهللاً . ويقول عنه الكتاب فى تلك اللحظات إنهم شخصوا إليه « ورأوا وجهه كوجه ملاك »

(أع ٦: ١٥) . أما هو فشحخص إلى السماء ، وهو ممتلىء من الروح القدس ، فرأى مجد الله ... وقال « ها أنا أنظر السموات مفتوحة ، وابن الإنسان قائماً عن يمين الله » (أع ٧: ٥٥ ، ٥٦) ... وهذا الفرح انتقل إلى الوجود الدائم مع الله ، حيث لا مؤامرات ، ولا حنق أعداء ، ولا رجم ...

لا شك أن الذين يحزنهم الموت والانتقال إلى الرب ، لم يتيقنوا من لذة الحياة مع الله ، والوجود في عشرته المحببة إلى النفس . أو أن البعض يخافون الموت ، لأنه يحرمهم من الحياة في الجسد وفي المادة ومع الناس ...

في القرنين الثاني والثالث للميلاد ، حيث كانت أشواق المؤمنين متعلقة في عمق بالملكوت ، كانوا يسعون إلى الموت سعياً من أجل الله ، وكانوا يحبون الإستشهاد . بل أن العلامة أوريجانوس والعلامة ترتليانوس ، وضع كل منها كتاباً عنوانه « حث على الاستشهاد » . فهذا الاستشهاد سيوصلهم إلى الوجود الدائم مع الله ...

تحول الإستشهاد في تلك العصور إلى شهوة ، لأنه يحمل في طياته شهوة أعظم ، هي الوجود الدائم مع الله ، حيث يتغنون مع القديس بولس قائلين « ونكون كل حين مع الرب » .

هذه الشهوة المقدسة ، نزع من قلوبهم الخوف من الموت . فكانوا ينشدون تلك الانشودة الجميلة : « إن عشنا ، فللرب نعيش . وإن متنا ، فللرب نموت . إن عشنا أو متنا ، فللرب نحن » (رو ٨: ١٤) .

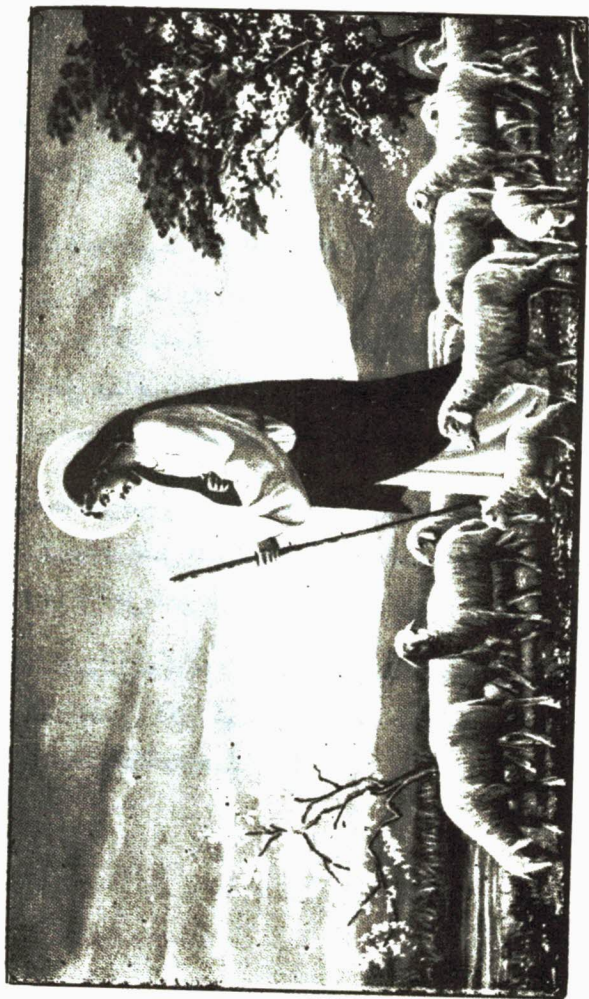
هؤلاء لا تهمهم سوى عشرة الله ، سواء هنا أو هناك .

في السماء ، يكونون كل حين مع الرب . وعلى الأرض أيضاً يشعرون أنهم مع الله في كل مكان . كيانهم كله معه ..

هوذا داود النبي يقول « تأملت فرأيت الرب أمامي في كل حين ، لأنه عن يميني فلا اتزعزع » (مز ١٦: ٨) . الرب أمامه ، والرب عن يمينه ، يحيط به من كل ناحية . فما تأثير هذه عليه إذن . يقول بعد ذلك مباشرة « من أجل هذا فرح قلبي وتهلل لساني . وأيضاً جسدي يسكن على الرجاء » « عرفنتي سبل الحياة . تملأني فرحاً مع وجهك » ...

إنه يشعر بوجود الله معه ، هنا وفي الأبدية ، لذلك يقول أيضاً « إن سرت في وادي ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك أنت معي » (مز ٢٢) . ما أجل شعور المؤمن بأن الله معه ، حتى في وادي ظل الموت ...

لذلك يرتل هؤلاء المؤمنون ترتيلة « حيث قادني أسير » . لا يهم أن يقود الله النفس ، لكن المهم أن تكون معه حيثما قادها . ومادامت معه ، تشعر بالسعادة والثقة والإطمئنان .



[٤]

طبيعة العلاقة مع الله

لكى نفهم الوجود مع الله ، ينبغي أن نفهم أولاً ما هو الله بالنسبة
إلينا؟ ... وبالتالي ما هي طبيعة العلاقة معه؟ ... وهنا نفهم حالة الوجود
مع الله ...

إن الله لا يشاء أن يكون مجرد سيد يحكم عبداً ، ولا يشاء أن يكون
خوف العبيد وطاعتهم هو أساس العلاقة التي تربط البشرية به . لذلك
قال في وضوح :

« لا أعود أسمىكم عبداً ... بل أحبباء » (يوحنا ١٥ : ١٥) .

وفي هذا الحب ، ودرجته وعمقه ، قيل عنه إنه « أحب خاصته الذين
في العالم ، أحبهم حتى المنتهى » (يوحنا ١٣ : ١) . بل إن هذا الحب كان هو
السبب المباشر للتجسد والفداء ، لأنه « هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل
إبنه الوحيد ، لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية »
(يوحنا ٣ : ١٦) .

وفي محبة الله لنا ، دعانا أبناء له ...

و يتغنى القديس يوحنا الرسول بهذه الحقيقة فيقول « أنظروا أية محبة
أعطانا الآب ، حتى ندعى أولاد الله » (يوحنا ١ : ٣) . وأصبحنا حينما
نصلى ، نوجه صلواتنا إلى هذا الآب السماوى ، ونقول له « يا أبانا الذى
فى السموات » .

حتى جاء السيد المسيح ، فأظهرها بجلاء ووضوح . انظروا كيف أن الله يعاتب البشر في العهد القديم فيقول « ربيت بنين ونشأتهم ، أما هم فعصوا عليّ » (أش ١ : ٢) . وكأب في العهد القديم ، يخاطب الإنسان بعبارة « يا إبنى أعطنى قلبك » (أم ٢٣ : ٢٦) . وقد أدرك أشعياء النبي أبوة الله ، فقال له « تطلع من السماء ، وانظر من مسكن قدسك ، فإنك أنت أبونا ... أنت يارب أبونا ، ولينا منذ الأبد إسمك » (أش ٦٣ : ١٦) . وقال أيضاً « والآن يارب أنت أبونا ... وكلنا عمل يديك » (أش ٦٤ : ٨) ... والأمثلة كثيرة ...

إذن فنحن حينما نتواجد مع الله ، نتواجد مع أب يحبنا ...

ونقضى الوقت معه ، كما يسلك الأبناء مع أبيهم المحب لهم ، بنفس الدالة التي للأبناء . ومن الناحية الأخرى ، حينما نخطىء ، نشعر ليس مجرد شعور العبيد الذين يخافون العقوبة ، بل بالأكثر شعور الأبناء الذين يؤلمهم ويحزنهم أنهم جرحوا قلب أبيهم المحب ، وتباعدوا عنه بالمعصية ، فيسرعون لمصالحته ، ليوجدوا في كل حين معه ...

وماذا أيضاً ؟ هل نحن مجرد أبناء وأحباء ؟ كلا ، بل هناك ما هو أكثر :

من محبة الله ، دعا النفس التي تحبه عروساً له ...
هذا واضح تماماً في العهد القديم ، في سفر نشيد الأناشيد ... وفي

العهد الجديد يتكلم يوحنا المعمدان عن الكنيسة كلها كعروس للمسيح ،
 و يقول عنه وعنها « من له العروس فهو العريس » (يوحنا : ٣ : ٢٦) . وفي
 المجيء الثاني ، شبه الرب كل النفوس التي تحبه بخمس عذارى
 حكيما ، أخذن مصابيحهن وخرجن لاستقبال العريس (مت ٢٥) .
 و يقول بولس الرسول عن كرازته « خطبتكم لأقدم عذراء عفيفة
 للمسيح » (٢ كو ١١ : ٢) ، وشرح في الرسالة إلى أفسس ، كيف أحب
 المسيح الكنيسة كعروس له ، وكيف قدسها وطهرها وأسلم نفسه
 لأجلها ، وقال عز وحدة المسيح بالكنيسة « هذا السر عظيم » (أف ٥ :
 ٢٢ - ٣٢) .

إذن نحن أبناء وأحباء ، وعروس للرب ، وماذا أيضاً ؟

أقول بالأكثر : إنه ونحن كيان واحد ، كالرأس والجسد ...

حقاً ، هذا السر عظيم ! إن الرب لم يفصلنا عنه . فنحن جسده وهو
 رأسنا . المسيح هو رأس الكنيسة (أف ٥ : ٢٣) ، ورأس كل رجل هو
 المسيح (١ كو ١١ : ٣) وأجسادنا هي أعضاء المسيح (١ كو ٦ : ١٥) .
 ونحن « أعضاء جسمه ، من لحمه ومن عظامه » (أف ٥ : ٣٠) . إنني
 أقف هنا مدهولاً أمام هذه العبارات العجيبة ، التي أراد بها الوحي الإلهي
 توضيح علاقتنا بالمسيح ووجدتنا معه ...

وقد وضع الرب هذه الوحدة ، بعلاقة أخرى غير الرأس والجسد ،

فقال :

« إثبتوا فيّ ، وأنا فيكم ... أنا الكرمة ، وأنتم الأغصان »
(يو ١٥) .

الكرمة والأغصان ، كيان واحد ... كالرأس والجسد ...
والغصن لا حياة له ، إلا بالثبات في الكرمة . وهكذا قال الرب
« كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته ، إن لم يثبت في الكرمة ،
كذلك أنتم إن لم تثبتوا فيّ ... الذي يثبت فيّ وأنا فيه ، هذا يأتي بثمر
كثير » (يو ١٥ : ٤ ، ٥) .

إذن أكثر من الوجود في الله ، الثبات في الله ...
نُثِبَتْ في الله ، كما يثبت الغصن في الكرمة ، تسرى فيه عصارة
الكرمة ، وتعطيه حياة ... وإن لم تسرفيه عصارة الكرمة ، يجف ويموت ...
ولكن كيف نحصل على هذا الثبوت في الله ؟

لقد قدم لنا الرب أربع وسائل للثبوت فيه :
« من يأكل جسدي و يشرب دمي ، يثبت فيّ وأنا فيه »
(يو ٦ : ٥٦) .

« وقال القديس يوحنا الرسول في رسالته الأولى « من اعترف أن
يسوع هو ابن الله ، فانه يثبت فيه ، وهو في الله » (١ يوحنا : ٤ : ١٥) . وهنا
قدم الإيمان كواسطة للثبوت في الله .

« وقال أيضاً « الله محبة . ومن يثبت في المحبة ، يثبت في الله ، والله
فيه » (١ يوحنا : ٤ : ١٦)

* وأيضاً « من يحفظ وصاياه ، يثبت فيه ، وهو فيه »
(٢٤ : ٣٠)

إذن هناك وسائط للثبوت في الله ، هي : الإيمان ، والمحبة ،
والتناول من جسده ودمه ، وحفظ وصاياه .

فهل حرصت على هذه الوسائط الأربع ؟ وهل شعرت فيها بالثبوت
في الله ؟ هل شعرت فيها بوجود الله فيك ؟ هذا إن كنت قد مارستها كما
ينبغي ...

هل رأيتم علاقة في قوة هذا الثبوت المتبادل ؟
ثبوت كالجسد في الرأس ، وكالغصن في الكرمة ... فيه الحياة ، ولا
حياة بدونه ... وماذا أيضاً ؟ لعلني أتجراً وأقول ، في خشية واتضاع قلب :

الوجود مع الله ، هو الوجود في الله ...
أوهو وجود الله فينا ...

وجود الله فينا ، كقول السيد الرب للآب « أنا فيهم ، وأنت فتى ،
ليكونوا في مكلمين إلى واحد » (يوحنا : ١٧ : ٢٣) وقوله أيضاً « وعرفتهم إسمك
وسأعرفهم ، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به ، وأكون أنا فيهم »
(يوحنا : ١٧ : ٢٦) . وقول بولس الرسول « لكى أحيأ لا أنا ، بل المسيح يحيا
فتى » (غل : ٢ : ٢٠) .

هل يوجد مجد أكثر من هذا ؟! أو هل توجد متعة روحية أعمق من

هذا؟! أن يؤدي وجودك مع الله إلى وجوده هوفيك ... على أننا نلاحظ هنا
أن الأمر لا يقتصر على السيد المسيح فقط ، وإنما :

كما يكون المسيح فيك ، يكون أيضاً الآب والروح القدس :
أما عن روح الله فيك ، فيقول الرسول « أما تعلمون أنكم هيكل
الله ، وروح الله ساكن فيكم » (١ كو ٣ : ١٦) ، « أم لستم تعلمون أن
جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم » (١ كو ٦ : ١٩) ... حقاً
إن هذا السر عظيم .

أما عن الآب فيقول السيد المسيح « إن أحبني أحد يحفظ كلامي ،
ويحبه أبي ، وإليه نأتى ، وهنדה نصنع منزلاً » أى الآب والإبن معاً
(يوا ١١ : ٢٣) .

هذا عن وجود الله فيك . فماذا عن وجودك فيه ؟ ...

يقول بولس الرسول « ... لكى أربح المسيح ، وأوجد فيه » (فى
٣ : ٨ ، ٩) . ويوحنا الرسول يقول « بهذا نعرف أننا فيه » (١ يو ٢ : ٥) .

والسيد المسيح يجمل هذا الوجود المتبادل فى قوله « فى ذلك اليوم
تعلمون أنى أنا فى أبى ، وأنتم فى ، وأنا فيكم » (يو ١٤ : ٢٠) . ويؤكد
هذا المعنى أيضاً قوله « إثبتوا فى ، وأنا فيكم » (يو ١٥ : ٤) .

ولكنى لا أزال حائراً أمام عبارة « إثبتوا فى ، وأنا فيكم » . ما
معناها ؟ ما كنه هذا الثبوت ؟ قطعاً لا يمكن أن نثبت فى جوهره ، وإلا

صرنا آلهة... ! وما نحن سوى تراب ورماد... على أن الرب يجيب في نفس
الأصحاح فيقول :

نعم ، بالحب نشبت فيه ، وبالحب يثبت هو في قلوبنا... ألم يقل
الرسول « الله محبة . من يثبت في المحبة ، يثبت في الله ، والله فيه » ...

إنه الحب المبني على الإيمان ، كما قال القديس بولس « ليحل المسيح
بالإيمان في قلوبكم ، وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة » (أف ٣ :
١٧ ، ١٨) .

إذن نحن بالحب ، وفي الحب ، نشعر بالوجود في الله...
لا نشعر فقط بوجود الله معنا ، أو وجودنا معه ، وإنما نشعر أيضاً - في
محبتنا له - بوجوده فينا ، ووجودنا نحن فيه . نشعر أننا أعضاء في جسده ،
وأنا ثابتون فيه كنبوت الغصن في الكرمة ، ثبوتاً نأخذ به حياة ، ونضارة ،
ونصنع به ثمرأ...

فهل أنت كذلك ، تشعر أن حب الله يسرى فيك ، ويعطيك حياة ،
لها متعة روحية خاصة ، غير الحياة التي لهذا العالم ؟ وهل تشعر أن هذا
الحب الإلهي يغذيك ويقويك ، ويثبتك فيه ، ويشبع نفسك تماماً... ؟

في الحب ، نشعر بالوجود مع الله...
وفي الوجود مع الله نشعر بالحب . وماذا أيضاً ؟

لعله من المناسب ، أن تكون لهذا الموضوع محاضرة خاصة .

قوله في الله

[٥]

مشاعر الوجود مع الله

مشاعر الحب

مشاعر الفرح

مشاعر السلام

مشاعر كثيرة

ما أعمق المشاعر التي تنبع من الوجود مع الله ... وما أكثرها . مجرد الأحساس بالوجود مع الله ، يجعل النفس ترتفع إلى فوق ، في مستوى أعلى من هذا العالم ، وأسمى من الماديات .

وتصبح كل مشاعرها روحية ... في عمق ...

ينجذب القلب إلى الله ، ويلتصق به في حب ، ويرى أن سعاده كلها في البقاء هكذا . ويغنى مع داود « أما أنا فخير لي الإلتصاق بالرب » (مز ٧٣: ٢٨) .

ويود أن يبقى هكذا ، لا يفارقه ، ولا يفصل عنه ...

يفرح أنه وجد الله ، فتتعلق به نفسه ، ويقول مع عذراء النشيد « أمسكته ولم أرخه » (نش ٣: ٤) . ويود أن تدوم حياته في هذا اللقاء مع الله والإحساس بوجوده . وتصبح كل الرغبات الأخرى تافهة في عينيه ، لا تستطيع أن تفصله عن هذه المتعة الروحية التي يجدها مع الرب ، فيصيح من أعماقه ، مع بولس الرسول :

من سيفصلنا عن محبة المسيح ...؟! (رو ٨ : ٣٥ - ٣٩)

« ... لا موت ولا حياة ، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ، ولا أمور حاضرة ولا مستقبله ، ولا علو ولا عمق ، ولا خليفة أخرى ، تقدر أن

تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع» ... أتستطيع أن تقول هكذا ،
ولا تسمح لشيء أن يفصلك عن الوجود مع الله ؟

يروى في قصص القديسين عن أحد الآباء الرهبان ، أنه كان سائراً
في البرية ، مستغرقاً في صلواته بكل قلبه وعواطفه ، فأتى ملاكان وأحاطا
به من هنا وهناك . ولكنه لم يسمح لنفسه بأن يتزك صلواته و ينظر إلى أى
منها ، بل استمر في صلواته وتأملاته وهو يقول « من يفصلني عن محبة
المسيح ؟ لا ملائكة ولا رؤساء ملائكة » ...

إن مشاعر الوجود مع الله ، مشاعر لا ينطق بها ...
تحستها ، وإن أردت أن تصفها ، لا تستطيع ... تصل أحياناً إلى مرحلة
يهر فيها الإنسان و يذهل ... فإن استيقظ يشعر بفرح يغمره ، و يشعر بميل
إلى الصمت ، لا يريد أن يخرج من إحساساته الداخلية إلى مستوى
الحديث مع الناس ...

وكعينة من هذه المشاعر ، سنتكلم عن ثلاثة منها :
هى مشاعر الحب ، والفرح ، والسلام . وكلها من ثمار الروح
القدس ، الذى يسكن قلب الإنسان ، و يشعر الإنسان بسكناه وثماره في
أوقات الوجود مع الله ...



مشاعر الحب في حضرة الله

يكفيك أيها الأخ المبارك أن تتقابل مع المسيح ، تتحدث إليه ، تستمع إليه ، تكون علاقة معه وتجد فيه كل كفايتك ولا يعوزك معه شيء ... تعطيه قلبك ، وحينئذ تشعر بتفاهة العالم كله ، وتسعد بمحبة الله .

هذا هو الوجود مع الله ، حب في حب ، قلب بشري يتلامس مع الله ...

قلب محدود ، يتلامس مع القلب غير المحدود . وحب بسيط ، يتقابل مع حب لانهاى . نحن في حياتنا مع الله ، مثل الجدول البسيط الذى يسير حتى يلتقى بالبحر ، ويصب فيه ، ويختلط بمياهه التى لا تنتهى . نحن قطرة ماء ، تسخن بحرارة الحب ، وتبخر وترتفع ، لكى تنزل إلى أعماق النهر الكبير ... حياتنا مع الله حياة حب .

العشرة مع الله ، هى عشرة الحب ...

إنها ليست مجرد نظام روحى ، أو جدول روحى تضعه لنفسك فى الصلاة والقراءة والتأمل والإجتماعات والمطانيات ... كل هذا حسن وجميل . ولكن هل هو نابع عن حب ؟ هل فيه اشتياق إلى الله ، وعشرة

مع الله؟ هل علاقتك بالله هي علاقة حب؟ هل تشتاق إليه كما يشتاق الغصن إلى عصير الكرمة يسرى في خلاياه؟ أم كل جدولك الروحية رسميات بلا عاطفة؟!

هل أنت تشعر بوجود الله في حياتك ، وجوداً يلهب قلبك بالحب ، فتتقد عاطفتك نحو الله باستمرار...؟

هل في وجودك مع الله ، وقت صلاتك ، وقت تأملاتك ، وقت إحساسك بيده تمسكك وتوجهك ، أو وقت إحساسك بيده تربت على كتفك في حنو، هل في هذه الأوقات تشعر بمحبة إلهية تملأ قلبك ، وتشبعك ، وتلهف عواطفك الروحية ، فلا تعد محتاجاً إلى أية محبة أخرى إلى جوارها؟

هل في صلواتك لهجة الحب ، وأسلوب الحب؟ وهل إذا صليت لا تريد أن تنتهى من الصلاة ، لأن المحبة تجذبك إلى البقاء في حضرة الله؟ هل قلبك المحب للمسيح ، مملوء بالفرح لأنك قد وجدته؟ هل وجودك مع الله ، أصبح حياة ، وليس فترات؟

أى أنه من شدة محبتك لله ، ورغبتك في أن توجد معه باستمرار، إزدادت فترات وجودك معه ، وظلت تنمو، حتى أصبحت تحس بوجودك في حضرة الله كل حين ، وليس لفترات محدودة تأتي وتنتهى... وهكذا تقول مع معلمنا داود « تأملت فرأيت الرب أمامى في كل حين... » .

إن الذى يحب الله ، وبحب أن يوجد دواماً معه ، لا يكون الله
بالنسبة إليه هو إله مناسبات ... !

الله ، ليس هو الإله الذى يجده الإنسان فى الكنيسة فقط ، فإن فارقها
فارقه ! وليس هو الإله الذى يجده فى الكتاب المقدس ، فإن أغلق هذا
الكتاب إنتهت علاقته به ! وليس هو فقط الإله الذى لا يجده إلا فى
الصلاة والتأمل والتراتيل ، وبعدها لا يحس بوجوده ... !

إنما هو الإله الذى يحس وجوده معه فى كل مكان ، وفى كل وقت ،
وفى كل عمل ... هو فى حياته على الدوام . وهنا نسأل : من يكون المسيح
بالنسبة إلى حياتنا ؟

إن المسيح ليس غريباً عنا ... إنه فينا :

ليس هو مجرد شخصية تاريخية ، قرأنا عنها فى الإنجيل ، فعرفنا قصة
تجسده وصلبه وقيامته وصعوده إلى السموات ... بل المسيح حتى بيننا ، معنا
كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر ، حسب وعده الصادق (مت ٢٨ : ٢٠) .
إنه الممسك السبعة الكواكب فى يمينه (أى جميع الرعاة) ، الماشى فى وسط
السبع المنابر الذهبية (رؤ ٢ : ١) أى الموجود فى وسط الكنائس كلها ...

حَقاً إننا نشعر بوجوده معنا فى صلواتنا ، حسبما قال « حيثما إجتمع
إثنان أو ثلاثة بإسمى فهناك أكون فى وسطهم » (مت ١٨ : ٢٠) . ولكن
وجوده معنا لا يقتصر على أوقات الصلاة فقط ...

وجوده في حياتنا ، أعمق من هذا وأشمل ...

ما أروع تلك العبارة التي قيلت عن المعموديتنا ، التي فيها متنا مع المسيح ، وقنا مع المسيح ... وليس هذا فقط ، بل يقول القديس بولس الرسول « لأن جميعكم الذين اعتمدتم بالمسيح ، قد لبستم المسيح » (غل ٣: ٢٧) ... وأمام عبارة « لبستم المسيح » اقف مبهوراً ، أحاول أن اتشرب المعنى على مهل ، بالروح لا بالعقل ...

وفي حياتنا الروحية ، إن كنا قد صولحنا مع الله بموته عنا ، فإننا ونحن الآن مصالحنون « نخلص بحياته » (رو ٥: ١٠) أى بحياته فينا ، حيث كل حين « يقودنا في موكب نصرته » (٢ كو ٢: ١٤) . فنحن لا نعمل شيئاً من ذواتنا ، بل هو العامل فينا . أليس هو القائل « لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » (يو ١٥: ٥) .

إذن نحن لا نستطيع أن نفصل حياتنا عن المسيح .

حياتنا الروحية ما هي إلا « رائحة المسيح الذكية » (٢ كو ٢ :

(١٥

ونحن في حياة الحب معه ، وحياة الوجود معه ، نحاول أن تكون لنا معه وحدة في الفكر ، وفي المشيئة ، وفي العمل ... وهذا ندخل في حياة شركة معه .

فالوجود مع الله ، يعني أيضاً الشركة معه .

هذه الشركة التي قال عنها معلمنا يوحنا الرسول « وأما شركتنا نحن ،

فهى مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح « (١ يوا : ٣) . ومعلمنا بولس الرسول يذكر أيضاً « شركة الروح القدس » (٢ كو ١٣ : ١٤) . أما معلمنا بطرس الرسول ، فيدمج كل هذا معاً في عبارة واجدة هى « شركاء الطبيعة الإلهية » (٢ بط ١ : ٤) ...

حقاً ما أعجب الوجود مع الله ، وما أعجب مواهبه ! ونحن طبعاً لا نشترك مع الطبيعة الإلهية فى الجوهر ، أى فى الألوهية ، وإلا صرنا إلهة ؟
فماذا إذن ؟

إنها شركة مع الطبيعة الإلهية ، فى الفكر والعمل .
من جهة الفكر ، يعبر بولس الرسول فى عمق وإيجاز فيقول « أما نحن فلنا فبكر المسيح » (١ كو ٢ : ١٦) . أما عن العمل ، فيقول عن نفسه وعن زميله أبولس « نحن عاملان مع الله » (١ كو ٣ : ٩) . ونحن نصلى فى أوشية المسافرين فنقول للرب « إشتراك فى العمل مع عبيدك ، فى كل عمل صالح » .

والشركة فى العمل ، تحتاج أيضاً إلى شركة فى المشيئة ، حيث نقول للرب فى كل صلاة « لتكن مشيئتك » . وتشمل من معناها « لتكن مشيئتك هى مشيئتنا . ولتكن مشيئتنا هى مشيئتك » .

فى الوجود مع الله ، تتحد مشيئة الله والإنسان .
ويقبل الإنسان مشيئة الله فى حب ، وفى رضى ، وفى فرح . وفى

شركة هذه المشيئة ، وفي شركة العمل والفكر ، يحيا في بردائم . لأن الله هو النور الحقيقي « ولا شركة للنور مع الظلمة » (٢ كور ٦ : ١٤) . وهكذا كل من يتمتع بالوجود مع الله ، يحيا في النور ، ويصير من أبناء النور ، لأنه « إن قلنا أن لنا شركة معه ، وسلطنا في الظلمة ، نكذب ولسنا نعمل الحق » (١ يوا ١ : ٦) .

إذن الوجود مع الله ، هو الوجود في البر .
وجودك مع الله ، يطهرك من كل خطية ، ويثبتك في الحق ، والحق يحرك . وتشعر وأنت موجود مع الله بمحبة كاملة لكل ما هو طاهر ومقدس .

لذلك فأنت تحب الرب لأجل أنه منحك هذا الإنعتاق من أسر الخطية ، وجعل الحياة الروحية سهلة عليك ، كما تحبه من أجل أنه الخلاص العظيم الذي قدمه لك وللعالم كله .

تحبه لأنك وجدته ، ولأنه تنازل ليكون معك .
ومع أنه مرتفع عن السموات ، فإنه يجد لذته في بني البشر ، ويحب أن يكون معنا ، ويعمل فينا و بنا . يكلمنا ونكلمه ، يحوطينا بعمل رعايته في حب وإشفاق ...

نحبه ، لأنه هو الذى يبحث عنا ، حتى إن ضللنا عنه ، يأتي بنا إليه ، حاملاً إيانا على منكبيه فرحاً ، هذا الذى أحبنا قبلاً ، واشفق علينا حتى

ونحن في عمق خطايانا .

نحب هذا القدوس ، الذي منح نعمة الوجود معه حتى للخطاة
والعشارين ، وحضر ولائمهم ، وتعشى في بيت زكا ، وسمح للمرأة
الخاطئة أن تلمس قدميه وتقبلها ، تلك التي إشمئز من وجودها
الفريسي ...

نحب هذا الكامل ، الذي سمح بالوجود معه للمجدلية التي كان عليها
سبع شياطين ، فخلصها منهم ، وجعلها من خاصته ، ونعمت بالوجود معه
حتى وهو على الصليب .

إن أسعد أوقاتنا في الحياة ، هي أوقات الوجود معه .

حتى لو كنا مصلوبين معه كاللص اليمين ، أو لو كنا نتألم معه
كبولس ، يكفي أننا معه . أما أتعس أوقاتنا فهي هي نحس الحرمان معه .
لذلك نحرص أن نكون معه كل حين ، لا في علاقة رسمية ، إنما في مشاعر
الحب ، التي بها إتكا يوحنا على صدره ، والتي بها سكبت الخاطئة دموعها
على قدميه ، لأنها أحبت كثيراً .

من أجل الوجود معه ، عاش أبائنا في البراري

وكما نقول في القسمة في القداس الإلهي « سكنوا الجبال والبراري
وشقوق الأرض ، من أجل عظم محبتهم للملك المسيح » . من أجل متعة
الوجود معه ، تركوا الأهل والمال ، وعاشوا في وحدة كاملة ، ليتمتعوا فيها

بحبه ، منفردين معه في البرية القفرة ، جاعلين شعابهم « الإنحلال من الكل للإرتباط بالواحد » .

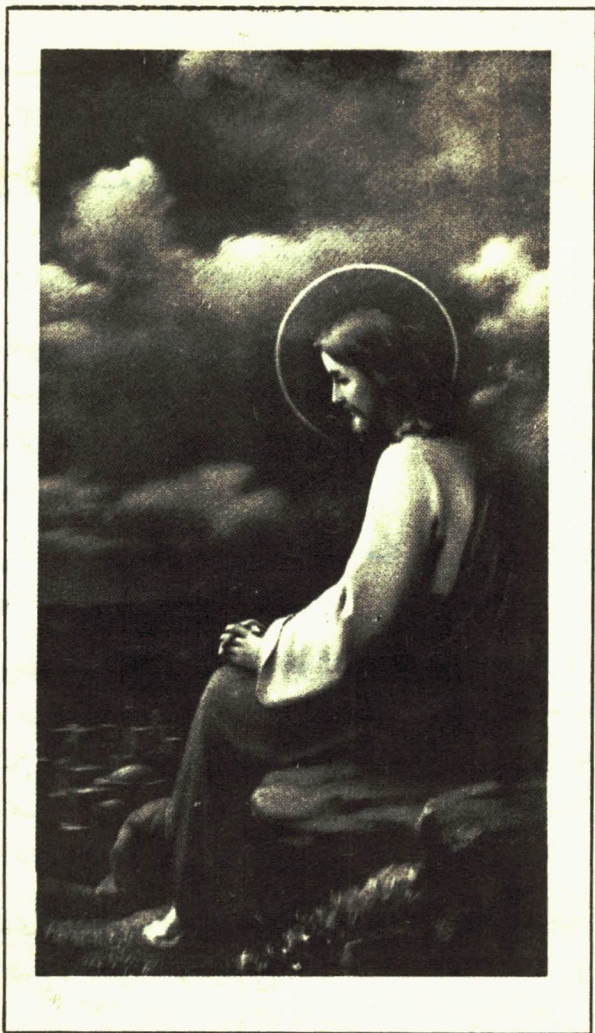
ومن أجل حبه والوجود معه ، ترك آباؤنا الرسل كل شيء وتبعوه ، وقالوا له « إلى من نذهب ؟ كلام الحياة الأبدية هو عندك » (يوحنا : ٦٨ : ٦٨) .

إنها نفوس هائمة ، ليس في قلوبها سوى محبة المسيح .
إن المسيحية فيها الكثير من المبادئ والقيم ، والفضائل السامية جداً ،
والعقائد الروحية السليمة العميقة . ولكن أجمل ما في المسيحية هو شخص
المسيح نفسه .

حتى أن الأبدية بكل أفراحها ، لا تعتبر نعيماً بدون المسيح . المسيح
هو فرحها الكامل ، وهو نعيمها الحقيقي .

والوجود مع المسيح في الأبدية ، هو النعيم الأبدى .
إنه هو الذى علمنا الحب ، وهو الذى ربطنا مع الله برباط الحب ،
ونزع كل خوف من قلوبنا ، ولم تعد وصايا الله مجرد أوامر ، إنما هي مجرد
تعبير عن الحب ، كما يقول « من يحبني يحفظ وصاياي »
(يوحنا : ١٤ : ١٥ ، ٢١) .

الذى يحب الرب ، يحب الوجود معه ، والذى يوجد معه يحبه ...
ويشعر بفرح لا ينطق به لوجوده مع الله .



مقالته

مقالته

مشاعر الفرح ...

بالوجود في حضرة الله

مشاعر الفرح بالوجود في حضرة الله

حياتنا مع الله ، هي حياة فرح به ، كما فرح التلاميذ إذ رأوا الرب .
الذين يعيشون مع الرب ، يفرحون لأنهم وجدوه ، و يفرحون لأنهم
عرفوه ، و يفرحون لأنهم صادقوه وأحبوه ، ولأنهم ذاقوا ونظروا ما أطيب
الرب ...

حتى في الآلام التي تحيط بهم ، هم يفرحون في الرب على الدوام . قال
الرسول :

إفرحوا في الرب كل حين ، وأقول أيضاً افرحوا (في ٤ : ٤)

تسأله : وأنت يابولس ، هل تفرح بالرب كل حين ؟ فيقول نعم .
وتسأل : وماذا عن السجون والضيقات والآلام والضعفات التي تحملها
كل وقت ؟ فيلخص الموضوع في عبارة واحدة هي « كحزاني ، ونحن دائماً
فرحون » (٢ كو ٦ : ١٠) . أمام الناس ، في ظروفنا الخارجية ، في
ضيقاتنا الكثيرة ، نبدو كحزاني . أما في الداخل . فنحن فرحون .

أولاد الله ، يفرحون على جبل الجلجثة ، كما على جبل التجلي .
يفرحون وهم في أتون النار ، كالثلاثة الفتية الذين كانوا يسبحون الله
داخل الأتون ، لأن سبب فرحهم كلن هو إحساسهم بوجود الله معهم ،
فكانوا فرحين به ...

يفرحون ، وهم داخل البحر الأحمر ، يحيط بهم الماء من هنا وهناك ،
يحيط بهم ، ولكن لا يغطيهم ولا يطفى عليهم . المهم أنهم فرحون بخلاص
الرب ، وبيد الرب معهم ... تماماً مثلما كان بولس وسيلا فرحين في
السجن الداخلى ، وأرجلهم مضبوطة في المقطرة ، وهما يسبحان الله بصوت
مسموع (أع ١٦ : ٢٤ ، ٢٥) ، شاعرين بوجود الله معها ...

كان بطرس في السجن . وكان الله معه في السجن . لذلك استطاع
أن ينام نوماً ثقيلاً ، بينما كان هيرودس مزمماً أن يقتله ! (أع ١٢ : ٦) .
من يستطيع أن ينام في مثل هذه الظروف؟! ولكن بطرس لم يفقد سلامه
ولا فرحه بالرب . وكأن لسان حاله يقول : « إن كانت لى صداقة بإله
هيرودس ، فإن هيرودس سوف لا يضرنى بشيء » ...

الشعور بوجود الله ، يملأ القلب فرحاً ، وينسيه آلامه ...

أحد القديسين ، علقوه على خشبة وصلبوه . فن فوق صليبه ، كان
يعظ الناس ، و يدعوهم إلى الإيمان بالمسيح . وحدث في إحدى المرات أن
ثلاثين ألفاً خرجوا من دمنهور إلى الإسكندرية ، لينالوا إكليل الشهادة ،
وهم يسبحون الله في الطريق ، و يغنون الأغاني الروحية ، فرحاً بالرب ،
لشعورهم بوجوده معهم ...

وهكذا فعل القديس أبام الجندى ، حينما لبس أفخر ثيابه ، وامتطى
جوازه وذهب لمقابلة أريانوس ، ليستشهد على يديه ، قائلاً « هذا يوم
عرسى » .

إذن إفرحوا بالرب كل حين ، كما فرح القديسون بالرب ، في كل ظروفهم وأحوالهم .

ولكن ما أسباب فرح القديسين بالرب ؟

إنهم فرحون بصحبته له ، وبعشرتهم له ، فرحون بالتجديد الذى أخذوه فى المسيحية ، بهذه الحياة الجديدة الثابتة فى الرب ، إذ وجدوا « الأشياء العتيقة قد مضت ، وهذا الكل قد صار جديداً » . إنهم فرحون بالحب الإلهى الذى لمس قلوبهم ، فطهرهم من كل شر ومن كل شبه شر . إنهم - فى تمتعهم بالوجود الإلهى - فرحون بعمل الروح القدس فيهم ، فرحون بنعمة الله التى لا تفارقهم .

إنه كما يقول الرسول « فرح لا ينطق به ومجيد » (١ بط ١ : ٨) . إنه فرح النفس بالرب ، فرح لما وجدوه ، باعوا كل شىء واشتروه ... إنه فرح روحانى ، يختلف عن كل أفراح العالم ...

فرح بملكوت الله داخل النفس ... قد يعجب العالم له : كيف تفرحون ، وأنتم بعيدون عن كل شهوات العالم وملاذته وترفيهاته ومتعه ، بعيداً عن مباحج المادة ، ولذة الحواس ؟ ... إن الفرح بالرب هو أعمق ... لا يستطيع العالم أن يفرحه .

إنه فرح من الداخل ، لا يعتمد على أسباب خارجية ... أهل العالم يحصلون على أفراحهم من مصادر خارج نفوسهم ... أسباب

تختص بالمادة ، وإكرام الناس ، أو ما يجذب الحواس ، أو بأسباب تتعلق
بالأسرة أو بركز أو بالجاء والغنى ... أما أولاد الله ، فيفرحون من
الداخل ، بسكنى الله فى قلوبهم ، وإحساسهم بوجوده معهم ، فى داخلهم .

يشعرون بيده فى حياتهم ، فيفرحون باستلامه لهذه الحياة وتدبيره لها .
يحسون بتعزيات الروح داخلهم فيفرحون . يشعرون بالله يعمل فى قلوبهم ،
ويغرس فيها مشاعر مقدسة ، ويغسلها فتبيض أكثر من الثلج ، فيفرحون .
يحسون أنهم فى حالة روحية ، لا يستطيعون التعبير عنها ، ويكفيهم أنهم
يتمتعون بها ...

حتى فى مشاكلهم ، يشعرون بأنهم فرحون بالرب ...

فرحون بالرب الذى يرونه أثناء المشاكل ، يتدخل ، ويعطى عزاءً
وصبراً وطمأنينة وسلاماً ، ويعطى حلولاً ما كانت تخطر على فكر إنسان ،
لها طابعها الخاص الذى يقنع النفس أنها من عند الله ... يفرحون بالرب
الذى لا يتركهم وحدهم ، وإنما يحسون وجوده معهم .

فى داخل البرية القفرة ، فى متاهة سيناء ، يرون الله ... يرسل
سحابته تظللهم وترشدهم نهراً ، ويرسل عمود النور يضيء لهم ليلاً ... إنه
معهم ، يرون وجوده فى تابوت عهده ، كما يرونه فى الصخرة التى تفجر
ماء ، وفى المن ينزله من السماء ، وفى صوته يتحدث من فوق الجبل ... كل
ذلك فى متاهة القفر...

إن أولاد الله ، دائماً فرحون ... فرحون بوجوده معهم ...

حالة واحدة تحزن الإنسان الروحي ، وهي الانفصال عن الله .
والإنسان الروحي لا يشعر بالإنفصال عن الله ، فهو معه في كل حين . ولكن هذا الانفصال يشعر به إن سقط في الخطية . فالخطية هي انفصال عن الله ، وبالتالي هي انفصال عن كل فرح ... وهكذا إن سقط إنسان روحي ، لضعف ، أو لخدعة العدو ، أو لأى سبب ، فإنه يسرع بالقيام والرجوع إلى الله .

حتى في سقوطه ، يشعر بالله يناديه ، ويساعده على القيام ...
ولولا وجود الله معه ، ما قام . إنه هو الذى ينضح عليه بزوفاه فيطهره ، ويتوبه فيتوب ، بل يبحث عنه كما يجده . وكما يقول في سفر حزقيال النبي « أنا أرعى غنمى وأربضها ... وأطلب الضال ، وأسترد المطرود ، وأجبر الكسير ، وأعصب الجريح » (حز ٣٤ : ١٥ ، ١٦) .

فاذا إن شعر البعض أن الله بعيد وليس معهم ؟
يفرحون بالله الذى سيأتى ، ولو فى الهزيع الأخير ...
إن لم تفرح بوجوده الآن ، إفرح بوجوده الآتى « هوذا آت طافراً على الجبال ، قافراً على التلال » (نش ٢ : ٨) . إنه على الباب يقرع . فلنفتح له ، ونتمتع بوجوده ، يكشف لنا ذاته ، ويكشف لنا محبته ، ويفتح لنا قلبه ، ويشعرنا برعايته واهتمامه ...

إننا تراب ورماد . ومع ذلك يشعرا باهتمامه ...

عجيب هذا الإله المحب ، الذى يعطى أهمية لخليقته بهذا المقدار!
« يقيم المسكين من التراب ، ويرفع البائس من المزبلة ، ليجلسه مع
رؤساء شعبه » (مزمور ١١٣ : ٨،٧) . هذا الكائن غير المحدود ، الإله العظيم
وحده ، ينظر من علوه المقدس إلى المتواضعات على الأرض ... ! حتى إن
كان درهم واحد مفقوداً ، يهتم به ، ويبحث عنه إلى أن يجده ، فيفرح به ،
و يدعو الجميع ليفرحوا معه ، ويشعره بوجوده فى حضرة الله المحب ...

الله موجود معك ، فى البروفى السقوط ...

إنه موجود معك ، حيناً يعطيك القوة أن تمشى معه فوق الماء ، مثلما
فعل مع بطرس ، وأحس هذا القديس بوجوده مع الله .
و حيناً يضعف إيمانك ، وتسقط فى الماء ، مثل بطرس أيضاً ، تشعر
بوجود الله ، الذى يجذبك من الماء ، لتمشى معه مرة أخرى ... فوق الماء .
لذلك نحن نفرح بالرب كل حين ، لأنه موجود معنا فى كل حين ،
سواء كنا نحن معه أو لم نكن ، شعرا بوجوده أو لم نشعر ...

إنه موجود فى حياتنا . ونحن نفرح بوجوده فيها ...

ونصلى باستمرار أن نشعر كل حين بوجوده معنا ، لكى يزداد فرحنا
به ... ولكى نشعر نحن بهذه الشركة المقدسة ، شركة الله فى حياتنا ،
وشركتنا نحن معه ، فى الحب ، وفى العمل ...



و كسلا بالله

مشاعر السلام ...

في الوجود مع الله

... في الوجود مع الله ...
... في الوجود مع الله ...
... في الوجود مع الله ...

... في الوجود مع الله ...
... في الوجود مع الله ...
... في الوجود مع الله ...

... في الوجود مع الله ...
... في الوجود مع الله ...
... في الوجود مع الله ...

مشاعر السلام في الوجود مع الله

إن أول عبارة كان يقوها الرب ، حين يلتقي بأحبائه هي « سلام لكم » (لوقا : ٢٤ : ٣٦ ، يوحنا : ٢٠ : ١٨) . وقبل صلبه ، لكي يعزى تلاميذه بأنه سيكون معهم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر ، قال لهم « سلامي أترك لكم ، سلامي أنا أعطيكم » (يوحنا : ١٤ : ٢٧) .

كل من يوجد في حضرة الله ، يشعر بسلام عميق .
يشعر باطمئنان داخلي ، لوجوده مع الله . يشعر بالسلام الذي يشعر به البحارة حينما يصلون إلى الميناء ، فيستريحون فيه . كذلك من يجد راحته في الرب ، يشعر بسلام ... مثال ذلك قول القديس أوغسطينوس للرب « ستظل قلوبنا في قلق ، إلى أن تجد راحتها فيك » .

في هذا السلام ، يختنى كل خوف ، وكل قلق واضطراب .
إن كانت حالة الوجود مع الله ، تعني الإحساس بسكنى الروح القدس داخل القلب ، فإن من ثمار الروح محبة وفرح وسلام (غل : ٥ : ٢٢) . ولا شك أن المحبة والفرح ينشآن سلاماً داخلياً ... أخيراً وجدتك يارب ، فامتلاً قلبي فرحاً ، ولساني تهليلاً ، وأصبح في قلبي سلام . سلام معك ، إذ قد تصالحنا ، مادمت أنت موجوداً في وأنا فيك .

يفقد الإنسان سلامه بالخطية ، فالخطية هي انفصال عن الله .
في حالة الخطية ، يبتعد الإنسان عن الله ، لا يشعر بالوجود معه ،
لذلك يفقد سلامه حقاً « لا سلام - قال الرب - للأشرار »
(أش ٤٨ : ٢٢) . هكذا حدث لآدم لما أخطأ ، خاف ، أختبأ ، لأنه
انفصل عن الله . وكان من قبل في سلام ، وهو شاعر بالوجود في حضرة
الله . وقاين أيضاً فقد سلامه ، وأصبح قلقاً ، وتائهاً وهارباً في الأرض ،
لأنه انفصل بالخطية عن الله ، كما قال « من وجهك أختني ، وأكون تائهاً
وهارباً في الأرض » (تك ٤ : ١٤) .

إن الوجود مع الله هو السلام الحقيقي ، لذلك قال المرتل في المزمور
« صرفت وجهك عني فصرت قلقاً » (مز ٣٠ : ٧) . من أجل هذا كانت
أعمق صرخة يوجهها المصلّي إلى الله هي :
لا تحجب وجهك عني ، لا تطرحني من قدام وجهك (مز ٥٠)

إن داود النبي ، وهو شاعر بوجوده مع الله ، كان يعنى على المزمور
والقيثار في فرح وتهليل ، ويدعو الناس إلى مشاركته ، فيقول « هللوا
للرب يا كل الأرض . اعبدوا الرب بالفرح . ادخلوا دياره بالتهليل »
(مز ١٠٠ : ١ ، ٢) . ولكنه لما أخطأ ، ولم يعد يشعر بالوجود السابق في
حضرة الله ، قال « إشفني يارب فإن عظامي قد اضطربت ، ونفسي قد
انزعجت جداً » (مز ٦) . هذا الإضطراب وهذا الإنزعاج ، ما كان لهما

وجود ، وهو مع الله . فبالخطية يفقد الإنسان سلامه « الأشرار كالبحر المضطرب ، لأنه لا يستطيع أن يهدأ ، وتقذف مياهه حمأة وطيناً . لا سلام ، قال إلهي للأشرار » (أش ٥٧ : ٢٠ ، ٢١) .

ولكن متى يرجع إلى الخاطيء سلامه ؟

عندما يتوب ، ويعود للوجود مع الله ، يعود إليه سلامه ...

لهذا عندما يتوب الخاطيء ، ويتخلص من حمل خطاياها ، ويسمع صلاة التحليل ، ويشعر أنه قد اصطح مع الله ، وعاد إلى أحضانه مرة أخرى ، حينئذ يشعر بالفرح والسلام ...

كان فاقداً سلامه لشعوره بأنه قد أحزن روح الله داخله ، وانفصل عن الرب ، وفقد العزاء الداخلي النابع من الوجود مع الله ، ولم تعد له دالة معه ، ولم يعد له وجه يستطيع أن يرفعه إليه . أما بالتوبة فقد استعاد كل هذا ، ورجع إلى الله وإلى عشرته .

إن الشعور بالحرمان مع الله ، قد يفعل ما هو أكثر من فقدان السلام . قد يوصل إلى الكآبة الدائمة ، وإلى فقد الأعصاب ، وإلى اليأس القاتل ، وقد يؤدي إلى الإنتحار كما حدث ليهوذا ...

أما الرب - في وجوده معنا - فيعطى سلاماً لكل من يعتصم به ، حتى لأدنس الخطاة ...

أنظروا إلى المرأة التي ضببت في ذات الفعل ، كيف كانت في خجل

ميت ، وفي عار ، وقد أمسك بها القساة لكي يرموها بالحجارة ... ولكنها لما وجدت في حضرة الرب ، أعاد إليها سلامها . دافع عنها ، وخلصها من الذين أدانوها و يريدون قتلها . وقال لها عبارته المملوءة عزاء « وأنا أيضاً لا أدينك » (يوحنا : ٨ : ١١) ، فضت من عنده بسلام ، سلام من تخلص من الدينونة ... كما قال أيضاً للخاطئة التي بلت قدميه بدموعها « مغفورة لك خطاياك ... إذهبي بسلام » (لوقا : ٧ : ٤٨ ، ٤٩) .

وفي الوجود مع الله ، كما يشعر الإنسان بسلام من جهة دينونة خطاياها ، يشعر أيضاً بسلام في ضيقاته ومخاوفه :

حتى إذا « تزعزعت الأرض ، وانقلبت الجبال إلى قلب البحار » يصيح المرتل في ثقة « الرب إله القوات معنا ، ناصرنا هو إله يعقوب » ويدعو الناس إلى مشاركته في فرحه قائلاً لهم « هلموا فانظروا أعمال الرب ، التي جعلها آيات على الأرض » (مز ٤٦) .

أليشع الذي كان يرى الله وعمله معه ، لم يخف حينما كانت جنود الأعداء محيطة بالمدينة ، أما تلميذه جيحزي فخاف ، لذلك صلى أليشع من أجله قائلاً : « افتح يارب عيني الغلام فيرى » .

نحن محتاجون أن يفتح الله أعيننا ، لنرى وجوده معنا ... حينئذ نطمئن ونحيا في سلام ، واثقين بعمله ، وبأن قوة سماوية تحيط بنا ، وبأن الله قد أرسل ملائكته لتحفظنا من كل شر ومن كل ضربة ، وأننا دائماً في حمى الله الذي نشعر بوجوده معنا . وهكذا في كل

مشكلة تصادفنا ، نقول هذه العبارات. الثلاث :

مصيرها تنتهى - ربنا موجود - كله للخير ...

بالإيمان أن ربنا موجود معنا ، نثق أن كل مشكلة لا بد ستنتهى وأن « كل الأشياء تعمل معاً للخير ، للذين يحبون الرب » (روم ٨ : ٢٨) .
نضع الله بيننا وبين الضيقة ، فتختفى الضيقة ، ونرى الله وحده ، فى محبته وحنانه ورعايته .

وهكذا سلامنا لا ينبع من أسباب خارجية ، وإنما من إيمان داخلنا ، بوجود الله معنا وبعمله لأجلنا .

الله الضابط الكل ، الصانع الخيرات ، الحافظ المعين المتقذ ...
إننا لا نفكر فى الضيقة ، بل فى الله الذى يحلها . أما الذى يركز فى الضيقات ، ناسياً وجود الله ، فإنه يتعب .

وهذا واضح فى الحياة العملية ، بأمثلة كثيرة :

أم يتأخر ابنها الصغير ليلاً ، فتضطرب جداً ، وتفكر فى حوادث السيارات ، وحوادث الخطف ، وأذية الناس لإبناها ... وتقلق . ترى أين ابنها الآن ؟ فى مستشفى ؟ أم مات ؟ أم فى بيت غريب ... ؟ على أن هذه الأم ، لو فكرت فى الله الذى « يحفظ الأطفال » (مز ١١٦) لاستراحت واطمأنت .

مثال آخر : إثنان يبيتان فى مغارة فى الجبل : أحدهما يفكر فى الذئاب والشعابين والحيات والعقارب ودبيب الأرض ، فيخاف ولا يقدر أن ينام ،

وينتظر شراً وخطراً في كل لحظة!! أما الآخر إذ يؤمن بوجود الله معه وحفظه له ، يبيت مطمئناً .

إن الظروف الخارجية واحدة ، ولكن مشاعر القلوب تختلف !

يفقد الإنسان سلامه ، إن فقد شعوره بوجود الله معه .
طفل في ميدان عام ، يموج بوسائل المواصلات ، لا يخاف مادام يشعر بأن يد أبيه ممسكة بيده . أما إن شعر أنه وحده ، وأباه ليس موجوداً ، فإنه يصرخ في فزع . هكذا نحن في شعورنا بوجود الآب السماوي معنا . وهكذا بطرس على الماء ، في شعوره بيد المسيح ممسكة بيده ...

إن نظرت إلى البحر تخاف . أنظر إلى عصا موسى ...

حينئذ تطمئن ، وتشعر بقوة إلى جوارك هي قوة الله العاملة مع موسى وعصاه ، وإذ تتأكد من وجود الله وعمله ، تتذكر قول موسى « الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون » .

بكل اطمئنان وسلام قلبي ، كان الشهداء يتقدمون إلى الموت ، غير مفكرين في العذابات ، إنما كان يفكرون في الوجود مع الله في الأبدية فيمتثلون سلاماً .

في الوجود مع الله قوة وشجاعة وعدم خوف ...

إن القديس بولس الرسول ، الذي يشعر بوجود الله معه وفيه ، الذي قال « بل المسيح يحيا فيّ » (غل ٢) والذي قال « وأوجد فيه »

(في ٣) وهو أيضاً قال عبارته الخالدة « أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني » (في ٤: ١٣). كان يشعر بقوة معه ، أو بقوة الله معه ... لذلك كان بكل جرأة يشهد لكلمة الله ، وكانت لكلماته قوة . وفيما هو يتكلم عن البر والدينونة والتعفف ، إرتعب فيلكس الوالي ، الذي كان بولس أسيراً أمامه ! (أع ٢٤: ٢٥) .

وإيليا النبي ، الذي كان أيضاً يشعر باستمرار بوجوده في حضرة الله ، وكان يقول « حتى هورب الجنود الذي أنا واقف أمامه » (١ مل ١٨: ١٥) . إيليا هذا ، استطاع بكل شجاعة أن يذهب إلى آحاب ويبكته (١ مل ١٨: ١٨) . وبنفس الشجاعة ، يوحنا المعمدان بكت هيرودس .

بنفس الشجاعة دانيال النبي ، صعد إلى عليّة منزله ، وفتح نافذته المطلّة على أورشليم ، وسجد لله العلي ، ولم يخف من جب الأسود ... إن كان الله موجوداً في كل مكان ، فهو موجود أيضاً بلا شك في جب الأسود ، يستطيع أن يحمي وأن ينقذ ...

الذين يشعرون بالوجود مع الله ، لا يخافون حتى من الشياطين ... إن حياة القديس الأنبا انطونيوس مثال واضح لذلك ... بل له مقالة عن ضعف الشياطين . الذين لهم وجود مع الله ، ليس فقط لا يخافون الشياطين ، بل يطردونهم ، لأن الله أعطاهم سلطاناً على قوة العدو ، وكما قال الرسول « قاوموا إبليس فيهرب منكم » (يع ٤: ٧) .

جميلة عبارة « يهرب منكم » ! ... منظر رائع أن نرى الشيطان يهرب من إنسان ! ولكنه الإنسان الذى يكون الله موجوداً معه . كما كانت تهرب من داود النبي الشياطين التى تحارب شاول ، ذلك لأن داود حل عليه روح الرب . وكان الرب معه ، وبوجوده معه تخافه الشياطين ...

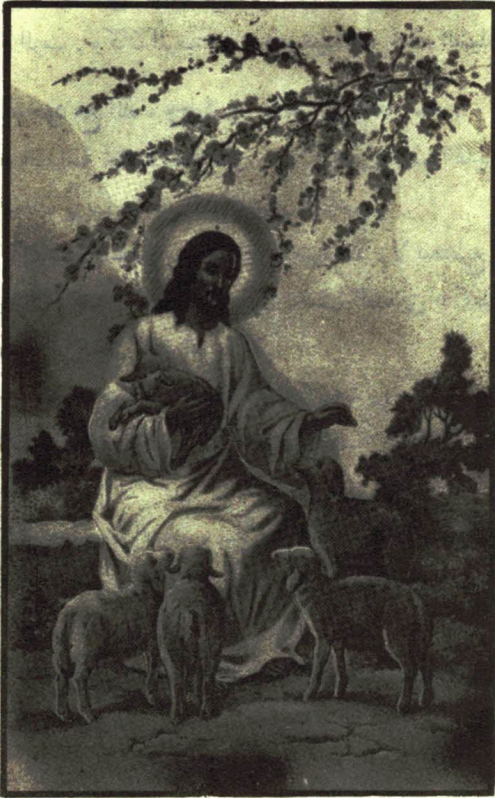
إن الوجود مع الله ، وجود فى حالة البر والقداسة ...

وهذه القداسة تخافها الشياطين . إن مجرد ذكر إسم القديسة يوستينة ، جعل الشيطان يهرب ، فأمن كبريانوس الساحر...
كل إنسان يشعر بوجوده فى حضرة الله ، لا يستطيع أن يخطئ ،
والشهير لا يمسه . مثلما كان يقول يوسف الصديق « كيف أخطئ ،
وأفعل هذا الشر العظيم أمام الله » ؟! ...
الإنسان الموجود مع الله ، هذا يسكن فيه روح الله ، وبسكناه فيه ،
تظهر ثمار الروح فى حياته ، ومنها الصلاح أى البر ، ومنها الفرح
والسلام ...

لذلك إن أخطأ إنسان ، بدلاً من أن نبحث الأسباب الخارجية التى
دعته إلى الخطية ، علينا أن نسأل سؤالاً واحداً وهو: هل الله موجود فى
حياة هذا الإنسان أم لا ؟

إن كان الله موجوداً فى حياته ، تكون حياته براً وفرحاً ...
وتكون حياة محبة وسلاماً . بل تكون حياته هى صورة لملكوت الله على
الأرض ...

ما أجمل الوجود مع الله . إنه متعة الروح هنا على الأرض ، وهو أيضاً
نعيمها الأبدى في السماء .



فهرست

صفحة

- تصدير ٥
- ١- الوجود مع الله ٧
- ٢- أوقات الإحساس بالوجود مع الله ٣١
- ٣- شهوة الوجود مع الله ٤٥
- ٤- طبيعة العلاقة مع الله ٥٣
- ٥- مشاعر الوجود مع الله ٦١
- ٦٥ مشاعر الحب
- ٧٥ مشاعر الفرح
- ٨٣ مشاعر السلام
- ٩٣ فهرست الكتاب

تأملات في صلاة الغروب .

تأملات في المزمور العشرين « يستجيب لك الرب » .

سلسلة الله والإنسان : ١ - الله وكفى .

٢ - الوجود مع الله .

تأملات في الميلاد .

تأملات في القيامة .

حياة السكون عند مار اسحق .

الغضب والإحتمال .

محبة المديح والكرامة .

نبذات روحية متعددة ...

كتب تحت الطبع

سلسلة الله والإنسان : ٣ - خطوات إلى الله .

الكهنوت .

سنوات مع أسئلة الناس (أجزاء) .

مجموعة كتب تأملات في الآلام (على أيام البصخة) .

كتب أخرى صدرت
للبابا شنودة الثالث

- . إنطلاق الروح .
- . الزوجة الواحدة .
- . الوصايا العشر .
- . الخلاص في المفهوم الأرثوذكسى .
- . مارمرقس الرسول .
- . القمص ميخائيل ابراهيم « مثل فى الرعاية » .
- . تأملات فى شخصيات الكتاب المقدس ; آدم وحواء - قايين وهابيل
- . تأملات فى حياة القديس الأنبا أنطونيوس .
- . كلمة منفعة « ثلاثة أجزاء » .
- . يونان النبي .
- . كلمات المسيح على الصليب .
- . تسبحة أسبوع الآلام « لك القوة والمجد » .
- . صلاة الشكر .

كتاب في تاريخ مصر

من تأليف

...

...

...

...

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٩٧٣ / ١٩٨١

...

...

...

...

...

...

...

...

...

الثن ٢٢ قرشاً